الواقعة السورية

وما بعد الثورات العربية

عنوان الكتاب: الواقعة السورية وما بعد الثورات العربية
تأليف: د. محمد بن سليمان العبدة
رقم الإيداع: ٢٧٩٩/ ٢٠١٣
الترقيم الدولي: ٦-٠٧-٥٢٠٣-٩٧٧-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدما.

الناشر

مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية

مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية
AL-RESALA CENTER FOR HUMAN STUDIES AND RESEARCHES

مصر ـ القاهرة ـ مدينة نصر
مكتب بريد المشروع السويسري
الرمز البريدي : ١١٨٢٦ ـ ص.ب: ٨
هاتف: ٢٤٧١١٠٦٤ (٠٠٢٠٢) ـ فاكس: ٢٤٧٠٤٢١٦ (٠٠٢٠٢)
محمول: ٠١٠٦٢٦٥٩٥٩١ (٠٠٢)
E-mail: alresalac@gmail.com

د. محمد بن سليمان العبدة

الواقعة السورية

وما بعد الثورات العربية

الناشر

مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية

مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية
AL-RESALA CENTER FOR HUMAN STUDIES AND RESEARCHES

٢٠١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الطغيان

لماذا هذا الحديث المتكرر في كثير من سور القرآن الكريم عن موسى عليه السلام وفرعون؟ إنها أكثر قصة معروضة في القرآن (بعد قصة بدء الخلق)، وفي كل سورة يعرض جانبا من جوانب هذه المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون، أليس هذا دليلاً على أن من الأهداف الرئيسية للقرآن الكريم محاربة الطغيان كظاهرة بشرية، وتوضيح نفسية وعقلية الطغاة وكيف يتصرفون وكيف يفكرون، هذا الطغيان الذي يفسد المجتمعات والأفراد، بل يدمر نفسية الإنسان ويحطم شخصيته وكرامته.

إن الإسلام - وهو خاتمة الرسالات إلى الأرض - جاء ليحرر الإنسان من الشرك، ومن اتخاذ الأرباب من دون الله، وقصة الأنبياء مع البشرية ما هي إلا لحل مشكلة الإنسان الذي يقع في المعضلات والنكد والخسران حين لا يتوجه بالعبودية إلى خالقه، وحين يتكبر عن الخضوع لرسالة السماء، وإنها قصة الصوت الصارخ في وجه الظلم، وإنقاذ المجتمع مما يعاني من أزمات اجتماعية وسياسية.

الإنسان مخلوق مكرم، ولكنه إذا لم يهتد بالوحي، وإذ يظن أنه استغنى، فإنه

يطغى، والطغيان هو مجاوزة الحد، وعندما يظن هذا الإنسان بسبب أهوائه ووسوسة الشيطان أنه يستطيع كل شيء، وأنه مستغنٍ بذاته وبقوته وذكائه وزبانيته، فإنه يتجاوز حدوده، ويستعبد الناس ويقهرهم.

حارب الإسلام كل أنواع الطغيان، طغيان الفرد، وطغيان المجتمع: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وطغيان المال والميزان: ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ ﴾ [الرحمن: ٨-٩]، واعتبر إفساد عقيدة الناس من الطغيان: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدِۭ ۝٢٧ ﴾ [ق: ٢٧]، ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٣٢ ﴾ [الطور: ٣٢] ووصف العقائد الضالة والمذاهب المنحرفة بالطاغوت: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إن قمة الطغيان والمثل الأعلى له هو فرعون، والقرآن الكريم على طريقته في تناول بعض الأحداث والقصص لا يذكر الأسماء، لأن فرعون نموذج لكل متكبر عال في الأرض من المسرفين، إنه يمثل الطغيان السياسي حين استكبر وظن أنه يملك مصر وأنهارها وسكانها: ﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ ﴾ [الزخرف: ٥١]، واستعبد وسخر بني إسرائيل لأهوائه ومطامعه: ﴿ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٢٢ ﴾ [الشعراء:٢٢].

والطاغية يوهم الناس أنه من طينة غير طينتهم، وكأن فيه جزءاً من الإلهية ولذلك يجب أن يخضعوا له: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ ﴾ [النازعات: ٢٤]، ولا يخفى على فرعون أنه ليس الإله الذي يخلق ويرزق ويحي ويميت، ولكنه يرى نفسه أنه هو السيد الأعلى الذي يجب أن يسخر له كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ﴾ [النمل: ١٤].

إنه التكبر واستعباد الناس حين يظن الطاغية أنه هو الأقدر على فهم الأمور

وهو الأذكى، وهو الأعلم: ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ [غافر: ٢٩]، فليس للناس رأي ولا للمصلحين.

وفرعون يتعجب من دعوة موسى له ومجابهته إياه: ﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٥] أي كيف يتجرؤ موسى على مخاطبتي؟.

وعقيدة قوم فرعون أنه ربهم ومعبودهم ولا يستبعد هذا عن الشعب الذي يغلب عليه الإيمان بالأشياء المادية المحسوسة ولا يؤمن بالغيب، ولكن فرعون يعلم قدر نفسه، ولذلك يحرضهم على عدم الاستماع لموسى ويؤلبهم عليه، ويقول لهم إن موسى وأخاه يريدان إفساد نظامكم ودولتكم: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ ﴾ [غافر: ٢٦]، وكأننا نرى هنا أن الطاغية مهزوم في داخله، ونفسه خواء وهو يعوض عن هذا النقص بقهر الناس وتقريب زمرة صغيرة ليكونوا شركاء له في جرائمه ويدربهم على القسوة البالغة نحو المجتمع، إنه يريد الاستقرار والاستمرار في الظلم، والحاشية تريد الاستفادة من تراكم الأموال، وفي العادة فإن الطاغية يُرضي هؤلاء بترك الحرية لهم في أكل أموال الناس بالباطل.

هل يكفي أن نأخذ العبرة، ونتحدث عن مساوئ الطغيان وكيف أنقذ الله موسى عليه السلام وقومه من فرعون وعمله، أم أنه زيادة على ذلك، يريد الله سبحانه وتعالى منا أن ندرس هذه الظاهرة، وكيف نتجنبها، وكيف نقاومها، لأنها موجودة في كل زمان ومكان، والطغيان أمر كريه، يفسد كل شيء وهو أمر لا ينبغي أن يكون ولا أن يبقى.

القرآن الكريم أدان هذه الظاهرة، وهذا معناه إدانة أي حاكم يتصف بالصفات المذكورة عن فرعون أو ببعضها، وظاهرة الطغيان السياسي تتفاقم عندما تتنازل الشعوب عن حقها في العزة والكرامة، وهي تفعل هذا مخدوعة من جهة وخائفة من جهة أخرى، ولكن هذه الشعوب لا تعلم أن هذا الخوف هو وهم، فلا يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة.

أراد الإسلام اقتلاع جذور الطغيان، ليس في نفس الحاكم وحسب، بل في المحكوم أيضا، حين يقبل به وحين يعتبره وكأنه شيء طبيعي ويجب الخضوع له. وحتى لا يمارس الفرد الطغيان أيضا في أسرته وعمله، أراد الإسلام اقتلاع الطغيان لأن الطغاة يفقرون شعوبهم ويشغلونهم برزقهم اليومي حتى لا يفكروا بالتغيير، والفقر يجلب معه رذائل شتى، من سقوط الهمم والجهل والمرض.

والطاغية لا يقف عند حد، فإذا أنت أسلمت أمرك للطاغية لم يرض منك بالطاعة، بل يصر على أن تكون طاعة وإذلالاً، والطاغية يكره العظماء من القادة والساسة والعلماء والأدباء، وإذا قبلهم فإنه يريد أن يكونوا أذناباً له، والطاغية يخدع الناس بالوعود الكاذبة، ثم يبدأ بتكوين حرس خاص به، بحجة المحافظة على مطالب الشعب، ثم يبدأ بمحاكمة من يعارضه، ويخترع لهم تهما باطلة، ثم ينقلب حكمه في النهاية إلى كارثة.

عاقب الله سبحان وتعالى هؤلاء الطغاة الظالمين الذين لا يتحرك لهم ضمير ولا يتعظون بمصير من قبلهم، عاقبهم بصرفهم عن الهداية: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ومن عقوبة الله للطغاة أنهم يعيشون في خوف دائم - وإن كان الظاهر غير ذلك - وذلك لكثرة المؤامرات والدسائس وكثرة الوشاة، ولذلك فهم يرتابون في كل أحد.

والخلاصة أن الطغيان ظاهرة مَرَضِية ركز عليها القرآن، وفصل فيها حتى يتجنبها المسلمون، ويقاومها أهل العلم والفضل.

الأشجار تموت واقفة

هي أشجار يحسبها الناظر تنبض بالحياة ولكنها منخورة من داخلها، هي ما تزال واقفة ولكنها ستقع مرة واحدة، ولن تعود إليها الحياة، هكذا هي الأنظمة الاستبدادية الفردية الطاغية المتكبرة على شعوبها، هي مارد من حيث الظاهر، مخيفة،هكذا يراها الناس من بعيد بينما هي في الواقع تتضاءل وتهزل حتى تصبح قزما من حيث القوة الداخلية الإنسانية، هي منخورة بالرشوة والفساد ونهب المال العام، منخورة بصراع القوى والأجنحة في داخلها يتآمر بعضها على بعض، فالكل يريد أن ينهب وكل جناح يضع العراقيل للآخرين.

عندما يكون النظام فارغا فإنه يلجأ إلى المظاهر التي تخدع الأبصار، مثل كثرة الاحتفالات وكثرة المؤتمرات والأعراس الخطابية الإعلامية التي ليس من ورائها طائل.

عندما يكون النظام فارغا فإنه يكثر من دور اللهو والمسارح والمراقص كي يشغل الناس بهذه التوافه ويبعدهم عن التفكير في الحرية والكرامة، ويبعدهم عن الكتاب والقراءة والثقافة حتى لا يستقيم فيهم التفكير.

حين يكون النظام فارغا فإنه ماينفك يثير المشاكل بين الناس ويشغلهم بالتنازع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ... ﴾ [القصص: ٤]، كما يشغلهم بالبيرقراطية القاتلة، فالفرد المسكين يذهب لإتمام أوراقه ومطالبه من دائرة إلى دائرة أياما وشهورا، والقضية الواحدة في المحاكم تتدحرج من محكمة إلى محكمة ومن قاض إلى قاض وتمر السنوات دون حل، وتحل مشكلات دولية ولا تحل مشكلة هذا المواطن، وهكذا تذهب الأموال والأوقات والجهود.

عندما يكون النظام فارغا فإنه يخاف من كل حركة ومن كل كلمة، ولو عارضه رجل واحد في أقصى الأرض فإنه يحسب له ألف حساب وحاول إسكاته، وقد ينشط هذا النظام في محاربة شخص لا حول له ولا قوة ولا يبذل معشار ذلك في تتبع المجرمين وقطاع الطرق الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

النظام الفاسد يكثر من الإشاعات التي تخدر الناس الذين لا يدركون مآرب النظام وأساليبه الملتوية لإطالة عمره، فهو يشيع أنه سيفرج عن سجناء الرأي ويعيش الناس بالآمال فترة ولا يتحقق شيء، وأما الإعلام المدجن فإنه يمتلئ بالإشاعات عن المشاريع الوهمية الزراعية والصناعية واستيعاب العاطلين عن العمل، والمجتمعات المريضة تتسلى بالإشاعة وتلتمس منها العزاء والأمل.

في دولة الاستبداد يتكاثر المستبدون الصغار من معاوني وأصدقاء المستبد الكبير، ويصبح كل واحد منهم مستبدا في ناحيته وعندئذ تقع الطامة الكبرى على الشعب ويخيم الفقر على المجتمع.

تتحايل الدولة الاستبدادية على الديمقراطية وتحولها إلى مسخ مشوه، هناك برلمان وهناك انتخابات مزورة وهناك أقلية معارضة هي (ديكور) لإتمام المشهد أمام أعين الناس.

إن دولة الطغاة كالشرارة التي يستفحل نارها كلما وجدت حطبا، ولكنها ستخبو لو أن الناس رجعوا عن طاعتها وأمسكوا عن خدمتها وأنكروا ما تقوم به من إفساد للإنسان والأوطان، عندئذ ستصبح هذه الدولة الاستبدادية كالشجرة اليابسة لا تصلح إلا وقودا للنار، وإنها لقيامة كبرى أن يبقى الإنسان فريسة الإنسان كما يقول شاعرنا إقبال.

صفحة زوجية فارغة

حتى لا نضمحل

جاء الإسلام لتحرير الإنسان من كل أشكال العبودية لغير الله، سواء عبودية الأشخاص أو عبودية الرغبات والمال والأشياء، فلا أكاسرة ولا قياصرة، ولا فراعنة ولا جبابرة. جاء الإسلام ليتحرر الإنسان من الدول الديكتاتورية التي تمتلك كل القوة ولديها جيوش من المرتزقة لقهر الشعوب وضبط سلوكها حتى لا تتكلم ولا تعترض وتتبع هذه الدول إجراءات خاصة وتستعمل أجهزة معينة تدمر ضحاياها، ولدى هذه الدول أساتذة جامعات يحرفون الكلم عن مواضعه ويسخرون العلم لصالح الطغيان، ولديها جيوش من محرري الصحف يلجأون إلى الخداع اللفظي وخلط الأوراق ولبس الحق بالباطل.

الحرية من خصائص البشرية وكلما اقترب الإنسان منها اقترب من بشريته، والعرب تقول عن السيدة الكريمة: الحرة، وتصف الفصاحة بأنها حر الكلام، وعندما حمل الإنسان الأمانة حمل أيضا حرية الاختيار وحرية المسؤولية، وهذه هي التي تعطي الحياة الإنسانية جلالها، وإذا كان الإنسان قد وصف في الآية: ﴿إِنَّهُۥكَانَ

ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] أي وإن جهل خطر الأمانة إلا أن من طبيعته وشأنه أن يعلم وأنه وإن ظلم أحيانا ولكنه يعدل أحيانا.

ليست الحرية حقا من حقوق الإنسان وحسب بل هي واجبة عليه لأنها هي التي تساعد الفضيلة والعلم، وهي التي تساعد على إقامة الدين والأخلاق، وهي التي تتيح للإنسان أن يحدد أهدافه وأن يحققها بالفعل، إلا أن الوصول إلى هذه الحرية السياسية واستقرارها في حياة الإنسان الاجتماعية ليست بالأمر السهل، فلابد من المكابدة والمعاناة والبحث الدائم عن الحق، فالمسلم لا يضع نفسه تحت عبودية أي مخلوق، ولا يضع بينه وبين الله وسائط يخضع لها، وحرية المسلم هي ضمن مرجعية إيمانية راسخة، فمن الإيمان بالله يستمد الإنسان مكانة وحقوقا.

ليست الحرية حملا زائدا ثقيلا، وليست خطرا على المجتمع كما يتوهمها البعض فهذا جهل وضيق أفق، لأننا نتكلم عن الحرية السياسية، حرية الحقوق والواجبات، حرية الإباء والوقوف في وجه الظلم، وليس عن الحرية المنفلتة من كل قيد، وليس عن حرية الفساد والهدم والإزراء بالقيم، ولا أن يفعل الإنسان كل ما يشاء، ويأتي بكل ما يريد، ولكن أن يعد نفسه لمبدأ صحيح وعقيدة ثابتة يعمل لها ويكافح من أجل تحقيقها.

ليست الحرية من الترف الثقافي، بل هي السلوى الصادقة في ظلمات الاستبداد، ولذلك لابد من دعوة الناس إليها واستنباتها في قلوبهم لأنها شيء راق وأصيل.

عندما تتاح الحرية أو جزء كبير منها في البلدان التي وقع فيها التغيير، عندما يتاح ذلك فمن الطبيعي أن لا تستقر الأمور مباشرة وبكل سهولة، فالمستفيدون من الوضع السابق لن يتركوا امتيازاتهم وسيحاولون الارتداد على هذه الثورات بوسائل كثيرة، وعلى المخلصين التنبه لهذا الأمر فإنه خطير، وشيء آخر سيحدث في مثل هذه الأجواء وهو الحراك السياسي المكثف وسيمضي وقت حتى يستقر ويأخذ شكله النهائي، ستنشأ أحزاب ثم تذهب وتظهر تكتلات صغيرة وكبيرة.

في هذه الأجواء سنجد أناسا لا يندفعون للعمل السياسي خاصة إذا كان عن طريق الأحزاب وذلك لتفلت كثير منها من القيود الشرعية في غاياتها ووسائلها، والبديل عن ذلك يمكن أن نسميه (الجماعة السياسية) التي تؤدي الدور السياسي عن هذه الفئة، إنها جماعة ضغط أكثر من أن تكون هدفها الحكم، إنها تعمل من أجل فكرة ومبدأ، قد لا يكون لها برنامج سياسي ولكنها مؤثرة في الحياة العامة، وهي التي تشكل دوائر جماعية خارج الانتخابات فإذا شاركت في الانتخابات فإن الأشخاص المرشحين سيظهرون قريبين من الجمهور وليسوا غرباء عنه.

هذه الجماعة السياسية قد ترى أن الدور السياسي لا يناسبها، وأن الدور الذي تختاره هو التأثير في السياسة، وهذا بخلاف الحزب السياسي عندما يكون هدفه الأكبر الوصول إلى الحكم، وإذا فشل فإنه سيضعف غالبا، والمعيار في تقويمه هو مدى التزامه بالبرامج التي طرحها أثناء الانتخابات.

الجماعة السياسية تستمر في الدعوة لمبادئها حتى عندما تكون في الحكم وتستمر في التطبيق العملي حسب استطاعتها.

صفحة زوجية فارغة

ما بعد الثورات العربية

(١)

نجحت ثورات عربية في اقتلاع الحكم الفردي المستبد، وإن كان نجاحا نسبيا ويصادف عراقيل كثيرة عند بعضها، وتصدر الإسلاميون النسب الأكبر في الفوز بالانتخابات، وهذا يدعو للتأكيد على أن نجاح ثورة ما لا يعني نهاية الأمر وكأن ذلك كان الغاية، والأصح أنها هي البداية، فربان السفينة لا يكفيه أن تقلع سفينته بل يجب عليه أن يراقب سيرها باستمرار من أجل تعديل الاتجاه من حين لآخر، ولأن الوعاء السياسي يستوعب نشاطات كثيرة مفيدة فإن نجاح الثورة يعني البناء الجديد بجميع جوانبه الفكرية الثقافية والسياسية والاقتصادية.

إن البناءات السابقة كانت في خدمة الدكتاتورية، وللاستمتاع بخيرات البلاد وإنفاقها على شهوات الطغاة ومسراتهم. إن بقايا العهد البائد لن يكونوا (كومة) من الرجال سوف يمحوها ويفتتها مرور الزمن، ولكنهم سيحلمون بالعودة من

النافذة وبطرق شتّى مثل إنشاء تكتلات سياسية تدعي الديمقراطية وتستفيد من الحرية المتاحة.

إن من عقابيل بعض الثورات أنها تحتضن أنصارها وأعداءها على السواء، وترفع شعارات موحدة ولكنها لا تستطيع أن تفرق بعد نجاحها بين من كان معها ومن كان عليها، فتأتي النتيجة طبعة هجينة من السياسة والثقافة، ومن عقابيل الثورات التي قد لا يُنتبه لها أن الثائرين الناجحين يتخذون الطرق نفسها التي درجوا على إدانتها في مواجهة الخصوم عندما كانوا في المعارضة.

ومن رحم هذه الثورات سيكون هناك ساسة يحكمون البلاد، هم مطالبون بأن يقوموا بالواجبات، وأن يعيشوا لأهداف كبرى وأهداف نبيلة، وهم مدعوون دينيا وأخلاقيا لخدمة الأمة، وهذا شيء طبيعي وهذا ما تعارفت عليه الأمم في بلدان أخرى، وهو السياسي الذي ينشده الشعب، السياسي الذي يخطط للأجيال القادمة، فالوطن ليس أرض الآباء وحسب بل هو أرض الأبناء أيضا، الثورة لا تريد السياسي الذي يعيش من السياسة أي يستفيد منها لأهوائه الشخصية سواء كانت مالا أو جاها أو حبا للرئاسة أو انتقاما من خصومه، وإنما تريد السياسي الذي يعي مسؤوليته ولا يستسلم للضغوط التي يمكن أن تمارس عليه، ولا يورط نفسه مع قوى شيطانية تخادعه وتبعده عن هدفه، لا أعتقد أن هذا مطلب صعب أو من قبيل طلب المعجزات.

ما المانع أن نرى السياسي الذي يمتهن السياسة كدعوة، أي أنه شغوف بها لخدمة المبادئ والقضايا الكبرى التي يؤمن بها، ولن ينجح أي إصلاح سياسي - مجتمعي إلا إذا انبثق من أعماق الإيمان بتحمل المسؤولية، وإذا كان العمل السياسي فيه جهد وتعب ومعاناة ويحتاج إلى بعد نظر، ولكن هذا لا بد منه، فإن خطأ الجاهل بالطب قد يودي بشخص واحد وأما الخطأ في السياسة فإنه قد يودي بأمة بأكملها، وذلك حين تنفصل السياسة عن الأخلاق والدين ويدير شؤونها الدجالون والمحتالون.

ليس مهما إحراز السلطة بأي وسيلة ولو كانت وسيلة شريرة، والنظام العادل ينجح ولو في المستقبل، ولذلك تحدث مؤرخو الحضارات عن سقوط الدول والأمم بسبب تدهور الأخلاق.

نريد السياسي الذي يملك الشجاعة لأن يقرر ما يعتقده، وهذه صفة قل أن نجدها في السياسيين المعاصرين الذين يتخذون السياسة حرفة لمصالحهم حيث يتكلمون دائما بكلمات غامضة تصلح لكل زمان ومكان، وذلك لخوفهم أن يقال عنهم أن لهم فكرا معينا، هناك أوهام ذات ضجيج قد ترعب الجبناء، ولكنها تذهب عندما تأتي الجسارة والإقدام وقول كلمة الحق، إن ما يقال عن احتمال حرب أهلية في سورية هو من قبيل الأوهام، وما يقال عن مشكلة الأقليات هو من قبيل الأوهام، والجرأة في قول كلمة: لا تنهي هذه المغالطات..

تريد الثورة السياسي الذي لا يكون أسيرا للشعارات التي ترفع للتوافق والمصالحة على حساب المبادئ والقيم الأساسية، تريد السياسي الذي ينتصر على أكبر عدو له؛ ألا وهو الغرور والزهو بأعماله وهذا داء متفشٍ، وينتصر على السلبية في التصرفات حين لا يدافع عن أي قضية هامة وهو يظنٍ أنه ينأى بنفسه عن المشاكل.

ستفشل سياسة بلا تربية تغرس في المشتغل بها تفضيل مصلحة الدين ومصلحة الأمة على مصالحه الشخصية، وتغرس فيه الفضائل الأخلاقية التي تجعله سهلا ميسرا لأمور الناس.

ستفشل سياسة تؤدي بصاحبها إلى البعد عن العلم النافع ولو ساعة من ليل أو نهار بحجة انشغاله بالمباحثات والتنازلات.

ستفشل سياسة تريد قطف الثمرة قبل أوانها والقاعدة تقول: (من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه).

ستفشل سياسة تخلية الساحة للفكر الصلب، فكر إجماع الأمة لصالح الفكر

الرخو، فكر تضخيم مشكلة الأقليات والقوميات الصغيرة والطوائف الصغيرة ويصبح المجتمع مهددا بالتفتت والانقسام، ويكون ذلك لصالح الأعداء والشامتين.

(٢)

الحديث هنا عن أصناف من الناس يشككون في نجاح الثورات العربية التي قامت لمواجهة الاستبداد والفساد، بعض هؤلاء يذكرون دليلا على ما يرونه الأخطاء التي تقع هنا وهناك، ويشعرون الآخرين أن الأمور لا تسير على ما يجب أن تسير عليه، وكأن هذا الصنف من الناس لا يتوقع النجاح لأي عمل في البلاد العربية، وكأن أحدهم يخاف من النجاح حتى لا يفكر بما سيتحقق بعد النجاح.

وصنف آخر هو مسكون بنظرية المؤامرة فهو لا يتخيل أن يكون هناك تحرك ليس وراءه الغرب ولسان حاله يقول: هل من المعقول أن تقوم ثورات وتغيير في الأوضاع الراهنة دون تدخل من الغرب؟ هؤلاء وإن كانوا لا يملكون دليلا على أقوالهم ولكنهم يرتابون في أي تحرك سياسي كبير، ونقول لهؤلاء: إذا كان الغرب هو الذي رعى وأيد الديكتاتوريات في العالم العربي، وإذا كانت الحرية هي في النهاية لصالح الناس وصالح المسلمين، فهل يكون الغرب وراء إعطاء الحرية للشعوب العربية، إن هذا تناقض ووساوس، نعم الغرب أيد وساعد في إبعاد طغاة مصر وليبيا ولكن مصالحه الاقتصادية كانت هدفا له في ليبيا، وفي مصر لم يرد الغرب أن يكون مع الرهان الخاسر ووقف مع الثورة، ولكنه حاول الالتفاف عليها عن طريق بقايا النظام، وهنا يكون الواجب على من نجحوا في الانتخابات أن يصححوا المسار وأن يعملوا بإخلاص لإنجاح الأهداف الكبرى لإقامة وتكريس الحرية السياسية.

ثم لنقل كيف كان المشهد العربي في الدول التي قامت فيها هذه الثورات ونجحت في البعض ونأمل أن تنجح في الباقي؟، ألم تكن هذه الأنظمة التي غادرت

غارقة في الطغيان وإفساد البلاد سياسيا واقتصاديا وثقافيا، والآن عادت الحرية والكرامة للإنسان وهذا هو طريق الإصلاح والنهوض. ومن الطبيعي أن تقع أخطاء وعوائق، فالعيش تحت الاستبداد عشرات السنين يفسد الحياة الاجتماعية، والحرية هي التي تسمح بتصحيح الأخطاء مادام هناك صحافة حرة تنتقد وهناك أحزاب تتنافس للحصول على صوت الناخبين.

كيف يقدر الغرب أهمية هذه الثورات ولو كان من وجهة نظر خاصة، وبعضنا لا يقدر أهميتها مع أنها تعتبر مرحلة تشكل تاريخي في غاية الأهمية للقابل من الأيام، ذلك لأنها تعني الاستمرار في الإصلاح وليست انتفاضة مؤقتة، وهي ثورات تريد التغيير إلى الأفضل وهذا ما نتوقعه، وهي ثورات شعبية وليست تابعة لفئة معينة أو لحزب معين.

إن الديكتاتورية لا تأتي بخير، فقد يكون (هتلر) بطلا قوميا بنظر الشعب في عهده، وأقام صناعات وهزم دولا، ولكنه فشل في نهاية الأمر أمام ديمقراطية بريطانيا وأمريكا. وفي القرآن الكريم قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤] فجعل سبب إرسال موسى هو طغيان فرعون، وكذلك من الأسباب حاجة الناس إلى رسول يخلصهم من الظلم والضلال.

يعتقد الناس في بريطانيا أنه من الضروري من وقت لآخر تغيير الحكومة، ليس الفاشلة فقط وإنما الناجحة أيضا، لأنها (مع الزمن) إما أن تصبح غير فعالة أو أنها تصبح مغرورة.

(٣)

ليس من السهل انتصار ثورة على الطغيان والظلم الذي عشش وفرخ خلال عشرات السنين، واستطاع أن يؤسس أحزابا أفسدت الحياة السياسية والاجتماعية، ولكن الأصعب من الانتصار هو ما بعد ذلك من إدارة البلاد وسياسة العباد، لأن

الفشل عند ذلك سيؤدي إلى خيبة آمال مريرة، وربما سيؤدي إلى عكس النتائج التي تريدها الثورة، خاصة وأن بعض الناس يشعرون بالإجهاد بعد الانتصار، وبعضهم يميل إلى الاستسلام لحكومات ليست هي الأمل وليست هي الهدف، والذين أشعلوا الثورة ربما يعتزلون ويختفون، وفي الغالب هناك من يتربص بالثورة ويوجه الأحداث لصالحه، وستقام أحزاب من أفراد قلائل يحسنون الكلام ويعلنون تفانيهم في خدمة الأمة، ولكنهم في الحقيقة يسرون خدمة أنفسهم، وإذا تم لهم الأمر ظهرت الأنانية وحب الذات.

هذه بعض عقابيل الثورات، وقد سألني أحد الأخوة: هل يستطيع الذين نجحوا في الانتخابات القيام بما يجب عليهم أو بما هو مؤمل منهم ؟ وهل يستطيعون مجابهة الإرث الكبير من التخلف والفساد الإداري المستشري، وانعدام التنمية الحقيقية خاصة وهم في ظروف انتقالية صعبة؟ قلت له: نعم، هم قادرون بشرط أن يكونوا مخلصين في عملهم إلى درجة التفاني والبعد عن شهوة الرئاسة والتواضع في المسكن والمركب والقرب من الناس والتواضع لهم، ولابد أن تكون التجمعات من القيادات الشابة على هذا المستوى أيضا، ليكونوا عصبية الدولة (بتعبير ابن خلدون).

هناك مشاكل كبيرة يجب أن يتصدى لها من سيأتي بعد استقرار الأمور، وحل هذه المشاكل لا يحتمل التأخير. مشكلة ثروة البلاد وحفظ المال العام، وبالتالي حل مشكلة الفقر والعاطلين عن العمل، وقد وهب الله البلاد العربية ثروات كثيرة ولكن سياسات الحكام الخرقاء بددت هذه الثروات، في العهود السابقة كان المال ينفق على توافه الأشياء ولا ينفق على المشاريع ذات النفع العام كالمدارس والمشافي. بعض الناس في بلادنا يعيشون في مدن الصفيح بل في أعشاش لا تليق بالحيوان.

هناك مشكلة التعليم والمدارس والجامعات والمناهج والمدرسين. هناك مشكلة الحرية وعودة الكرامة للناس وإنهاء الأجهزة الأمنية التي أرعبت الناس عشرات السنين، فلا يمكن أن يكون هناك تقدم وإنتاج في ظل الاستعباد والقهر والخوف.

الحكومات السابقة خضعت للعولمة الثقافية وفرضت هذه العولمة في الإعلام وفي المناهج الدراسية، وأصبحت اللغات الأجنبية تزاحم اللغة العربية، وروجت هذه الحكومات لثقافة الوطنية الضيقة التي ترسخ الأنانية والتجزئة والفرقة، فهل يستطيع الحكام الجدد طرح البدائل وهي مشاريع التعاون والاتحاد. إن الاستعمار بعد الحرب الكونية الأولى وضع حدودا بين الشعوب العربية المسلمة ورسمها (بالقلم والفرجار) كما يقال، وقسم العشيرة الواحدة بين دولتين.

هل يستطيع أهل الحكم الجديد مصارحة الناس بحقائق ما يجري ويبتعدون عن أساليب الخداع والوعود الخلابة، وهل يستطيعون إيقاف هذه البيروقراطية التي أرهقت الناس وذهبت بالأوقات والأموال. إذا كانت الأهداف واضحة فالتدرج والاستفادة من عامل الزمن شيء مهم لتنفيذ الخطط وتحقيق الآمال.

إن سلامة المجتمع هي في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في حديث السفينة الذي ضربه الرسول ﷺ مثالا للمجتمع المتماسك، إنها الحرية المقيدة ولكنها في سبيل الإنقاذ، ولابد للمجتمع الصالح أن يقول (لا) لأي خرق في السفينة، إننا نخشى أن نقول (لا) إما ضعفا أو حتى لا نغضب الآخرين وهذا لا يحل المشكلة.

إن السياسة الحقيقية هي التي تعلم الناس أسباب التعاون وتدفع عنهم أسباب التنافر، فهذا الذي ينعش الآمال ويجدد العزائم بحول الله وقوته.

صفحة زوجية فارغة

حول السياسة والمبادئ

في تعليق لأحد القراء على مقال لي أكدت فيه أن لا سياسة دون مبادئ أساسية تحيط بها، وتمنعها من السقوط والهوى في النفعية المحضة، وفي البرغماتية المفتوحة دون ضوابط، قال هذا القارئ: لماذا لا نترك أهل السياسة يتصرفون حسب اجتهاداتهم، فهم محتاجون لأمور قد لا ندركها ولا نقبلها، ونحن ننتقد الساسة لأننا بعيدون عنهم وعن واقعهم وحاجتهم لبعض التنازلات، كلام هذا القارئ يوحي بأنه يمكن أن تكون هناك سياسة دون مبادئ معينه تضبطها ودون أخلاق أيضا، وهذا المفهوم يظنه كثير من الناس في بلادنا، أنه مفهوم ساذج وسطحي ولا يمت إلى الفكر السياسي الحقيقي بصلة.

وقبل أن أوضح الآثار العملية لسياسة دون مبادئ دون أخلاق، أود أن أطلع القارئ وأمثاله على آراء أناس في الغرب حول هذا الموضوع، هم مفكرون وعلماء اجتماع وسياسة، يقول عالم الاجتماع الفرنسي (غوستاف لوبون): «إن أسباب سقوط جميع الأمم الذي يذكرها التاريخ بلا استثناء هو تغير طرأ على مزاجها

العقلي ترجع علته إلى انحطاط الأخلاق»[١]، ويقول (روجيه غارودي) عن الميكافيلية التي تعتقد أن الغاية تبرر الواسطة: «هي الحيوانية السياسية التي تحددها تقنيات الوصول إلى السلطة، وليس التفكير في الغايات الإنسانية للمجتمع»[٢]، ويقول (جاك مارتين): «السياسة الصائبة في فلسفة الميكافيلي سياسة لا أخلاقية، ولكنها ناجحة في إحراز السلطة، فهل من الضروري للإنجازات السياسية أن تكون شريرة؟ أم بإمكان الفرد أن يرعى العدالة وأن يعمل على اكتساب القوة، ونظرية (ميكافيلي) قصيرة النظر لأن قوة الشر هي قوة فساد، وهي تدمر نفسها، والعدالة بطبيعتها تسعى إلى إدراك النجاح في مقبل الأيام كما يتطور النسغ السليم إلى ثمرة تامة، وأما الميكافيلية فهي كما يفعل السم بالنسغ حيث يصب في الشجرة المرض والموت..»[٣]، وينقل مالك بن نبي عن الكاتب (بورك): «ومن الواضح أن السياسة التي تجهل قواعد الاجتماع وأسسه لا تستطيع إلا أن تكون دولة تقوم على العاطفة في تدبير شؤونها»[٤]، وبما أن السياسة تنظم علاقات مجتمعية، فمن المفروض أن تراعي الجانب الأخلاقي، وإذا كان هناك سياسيون لا خلاق لهم، فنحن لا نسمي هذا سياسة بل هو دجل وفساد، ويذهب المفكر الجزائري مالك بن نبي إلى وصم فترة التدهور الحضاري بأنها فترة سياسية: «إذا أردنا أن نسمي مرحلة تدهور الحضارة الخالية من الروح والعقل لأطلقنا عليها بلا تردد اسم المرحلة السياسية بالمعنى السطحي لكلمة سياسة»[٥]، نعى القرآن الكريم الذين يلبسون الحق بالباطل، أي يلجأون إلى الخداع اللفظي والفكري، وخلط الأوراق، إنها صورة السياسي الذي يموه على الجماهير كي تسير وراءه بينما نجد أن المبادئ الثابتة والجوهر الثابت

---

(١) سر تطور الأمم ص ١٤٦.

(٢) أمريكا طليعة الانحطاط: القدس العربي ١٦/ ٧/ ١٩٩٩م.

(٣) الفرد والدولة ص ٧٥.

(٤) مالك بن نبي : شروط النهضة ص ٤٢.

(٥) شروط النهضة ص ٧٩.

يعطي المجتمع نوعا من الأمن واليقين، ولأن أي عمل لا يكون موجها توجيها عقديا فما أيسر ما ينحرف ويبتعد عن الصورة الأولى التي رسمها أصحاب هذا العمل.

قد يقول البعض: هذا كلام مثالي أو خيالي، والحقيقة أنه ليس مثاليا ولا خياليا، لأننا نعلم أن هناك متغيرات وهناك مرونة لابد منها في بعض المواقف، ولكن الذي نؤكد عليه هو وجود الثوابت والمبادئ التي لا تتغير ولا تتبدل مع الزمن ولابد من الإصرار عليها.

وإذا ذهبنا إلى التطبيق العملي، لنرى بعض النماذج في العراق ماذا جنى الحزب الإسلامي من تعاونه مع أمريكا ودخوله مجلس الحكم بعد سقوط بغداد؟ واستمات في الوصول لرئاسة مجلس النواب التي لا تغني عن الحق شيئا، أليس هذا لأنه يفصل المبادئ والأخلاق عن السياسة، وأصبح الوصول إلى السلطة والمناصب هو الغاية.

وفي السودان، ماذا استفادت حكومة الإنقاذ من التنازل عن مبدأ الوحدة، ومن التساهل في بعض الأمور فيما يتعلق بتطبيق الشريعة وذلك تخوفا من الغرب، لم تستفد إلا مزيدا من الضغط من أمريكا وحلفائها، ومزيدا من التدخل في شؤونها.

لماذا لم يتفطن أهل السياسة هناك إلى تصميم أمريكا على انفصال الجنوب؟ وأنها تعد بمساعدة الجنوب بعد الانفصال ويتدخل بعض زعماء أمريكا بشكل سافر وواضح في التشجيع على الانفصال، والعجيب أن أمريكا تعد أهل الشمال بأنها سترفع السودان من القائمة السوداء إذا هو أتاح للجنوبيين استفتاءً نزيهاً كي يقرروا مصيرهم! كيف تقبل حكومة السودان بالتنازل عن مبدأ الوحدة مقابل وعود لا يوثق بها؟ لماذا لم يتفطنوا إلى أن انفصال الجنوب سيعني وجود بؤرة للمؤامرات على السودان ومصر؟ وسيعني تشجيع أقاليم أخرى على الانفصال! لماذا لم تنفصل الولايات الغنية في أمريكا عن بقية الولايات والتي هي أقل غنى؟ ولماذا لم يمارسوا الخطاب الأناني للاستئثار بالثروة كما هي لهجة بعض المناطق في

البلاد العربية؟ والسبب هو وجود مبادئ معينة اتفقوا عليها، فجعلت بينهم رابطة وثيقة، ولكن عندما لا تستطيع السودان باتساعها الكبير أن ترتبط فيها الولايات برباط فيه العدل والإنصاف، وفيه إصلاح البنية التحتية للجميع، فسيكون مصيرها أن تؤكل من أطرافها، وهذا مصير كل بلد كبير يوجد فيه أقليات دينية أو عرقية ويكون فيه التساهل المفرط، حيث لا يلتقي الجميع على أسس ثابتة فتتحكم الأقلية في الأكثرية وتفرض شروطها التي تنبع من تقوقع على الذات، أو تهويش من الخارج لإضعاف البلاد العربية والإسلامية.

هل من السياسة التساهل في مكون أساسي من مقومات الهوية والأمة كما تساهلت الدولة الإسلامية بعد القرن السادس الهجري لتعميم اللغة العربية كلغة علم وثقافة وتخاطب، فرجعت بعض الأقاليم الشرقية إلى اللغة الفارسية ويرى الباحثون في شؤون الدولة العثمانية أن من أسباب ضعفها عدم تبنيها اللغة العربية كلغة رسمية، والذين يتساهلون في مثل هذه الأمور الحيوية هل يرون في بريطانيا أو أمريكا لغة غير اللغة الإنجليزية، رغم وجود أقاليم لها لغتها ولهجتها.

إن ترك الحبل على الغارب سيؤدي إلى نشوء الدويلات والإقليميات الصغيرة، وتستغل دول الغرب هذا الأمر - أمر التعصبات العرقية والدينية - للقيام بمزيد من التفتيت والتقسيم للعالم العربي والعالم الإسلامي.

هل من السياسة القبول بعولمة السوق التي تجعل الأجيال القادمة مهددة بأن ترث أرضا قاحلة يصبح فيها الماء أعز من البترول والحيوان أغلى من الإنسان؟ والذين يقبلون هذا بأنه واقع لا مرد له، يرددون أيضا مقولة انتهاء عصر الأيدلوجيا وكأن الإنسان يمكن أن يعيش دون هوية أو فكر أو ثقافة، ودون أن يفكر في الكون والحياة والإنسان.

نحن نعلم أن الدول الغربية مثلا تتصرف حسب مصالحها، ومع هذا فهناك مبادئ أساسية تتحكم في سياستها، وعندما يأتي حزب المحافظين في بريطانيا إلى

الحكم فإنه يطبق نظرته الخاصة إلى الخدمات الاجتماعية أو التعامل مع الدول الأخرى، وكذلك عندما يأتي الحزب الجمهوري أو الديمقراطي إلى الحكم في أمريكا، والذي يقرأ مذكرات رئيس الوزراء البريطاني السابق (توني بلير) سيجد أنه انطلق في حربه على العراق وأفغانستان من منطلقات دينية زيادة على المنطلقات المصلحية.

وأخيرا نسأل: هل من السياسة التوسط بين الذئب والحَمَل، كما هي كثير من الوساطات العربية وآخرها الذين يمارسون هذه الوساطة في لبنان، إنها مساعدة للمعتدي كي يتجرأ أكثر على الضعيف! فالوساطة لا تكون إلا بين شريفين يحسنان تقديرها والتفهم لها.

وهل من السياسة أن يساعد المجرم بحجة احتوائه، هكذا تفعل بعض الدول المخدوعة عن نفسها فلا يزداد المجرم إلا أذى لشعبه وجيرانه، وهل من السياسة أن يتصرف بعض الأشخاص وبعض الدول من خلال الأوهام والخوف من حاجز كبير يقف مرتفعا أمامهم (أمريكا) ولذلك يعملون بطريقة منخفضة وخائفة، مما يزيدهم ضعفا وتشرذما.

صفحة زوجية فارغة

الربيع العربي والفرص المتاحة

مازلنا نسميه الربيع العربي رغم ما يظهر هنا وهناك من أخطاء وأشياء تكدر هذا المصطلح، ورغم الذين كانوا حذرين من القادم الجديد تخوفا من أن ينجر هذا القادم إلى الدجل الإيراني وحديثه الكاذب عن فلسطين وما يسمى (المقاومة) وحديثه الكاذب عن الوقوف في وجه أمريكا، إلى آخر هذا الهراء الذي لا يخفى على العقلاء وعلى من يعلم حقائق الدين وحقائق السياسة.

مازلنا نسميه الربيع العربي رغم ما حدث ويحدث مثلا في تونس من استقبال لما يسمى حزب الله اللبناني الذي يقتل الشعب السوري، ورغم التصريح المصري بأن إيران هي جزء من الحل وليست جزءا من المشكلة، (كانت كلمة الرئيس محمد مرسي في طهران جيدة، وكنا نتمنى أن لا يحضر هذا المؤتمر لأن إيران منحازة للنظام المجرم في سورية) الحرية هي التي تصحح الأوضاع ما دام هناك أناس ينتقدون ويتكلمون الحق.

إنها فرصة متاحة للذين تقلدوا الأمور في الدول التي حصل فيها التغيير، فرصة

قد لا تعود أو قد تعود بنسبة أقل، ربما لم يكن الذين رشحوا الدكتور محمد مرسي متأكدين من فوزه بالرئاسة، ولكن عندما احتدم الصراع مع المرشح الآخر أحمد شفيق وقفت كل الجماعات الإسلامية وكل المتدينين مع المرشح مرسي، ومع ذلك فقد وضع كثير من المصريين أيديهم على قلوبهم وكادت الديمقراطية - وهذه إحدى سلبياتها - أن تأتي بأحمد شفيق ولكن الله سلم، ويجب ألا ينسى هذا الفضل للذين ساهموا مساهمة قوية في إنجاح الرئيس مرسي، وهذا النجاح هو فرصة ثمينة لإصلاح ما فسد خلال عقود طويلة، إصلاح في الداخل وفي الخارج، وهو عبء كبير ولكن البدء بالأوليات يخفف من هذا العبء، وقد تكون الرؤية للإصلاح الداخلي واضحة رغم صعوبتها، إصلاح الإدارة والمال، والتعليم والجامعات، والاهتمام بالصحة والتأمين الاجتماعي، ولكن الأمر الذي يجب أن يؤكد عليه هو ما يتعلق بالأحداث في المنطقة العربية وأمن هذه المنطقة، وما يجري في سورية هذه الأيام هو من أكبر هذه الأحداث، ولا ينبغي لمصر في مركزها وأهميتها أن تكون بعيدة عن هذا الحدث، ولا عذر لمن يقول: إن مصر مشغولة بأمورها الداخلية.

إن عدم الوعي لخطورة أهداف إيران في المنطقة وما تخطط له، ودجلها عن فلسطين لهو شيء يحز في النفس ويقلق بال المسلم، والكل يأمل أن تعود مصر لدورها العربي الإسلامي، وأن تكون دولة فاعلة مؤثرة في سياسات المنطقة، وإن الحيادية في هذا الأمر غير مجدية بل هي مرفوضة.

إن منطق الدين والتاريخ يتطلب من حكومة مصر موقفا إيجابيا وقويا مع الثورة في سورية. من لا يقرأ التاريخ لا يستطيع أن يفهم الحاضر بله أن يحكم على الحوادث السياسية التي تجري هذه الأيام. يقول علي شريعتي - وهو كاتب إيراني-: «من القضايا الواضحة وجود ارتباط بين الصفوية والمسيحية (الغرب)، حيث تضامن الاثنان لمواجهة الإمبراطورية الإسلامية العظمى (الدولة العثمانية) التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي وشكلت خطرا جديا على أوروبا».

إن تأمين الحاجات الأساسية للإنسان شيء ضروري، ولكن الأهم من ذلك أن يكون للدولة استراتيجية وأهداف كبرى تسعى إليها ولو كانت على مراحل متفرقة، ومن الأشياء التي تساعد الدولة على هذه الغايات أن تفضل الإسلام على كل جماعة أو مؤسسة أو حزب، وإذا كان تقدم الأمة يتطلب أن تمحى جميع اللافتات والشعارات فليكن ذلك، العمل والجهد يجب أن يكون لصالح الأمة وليس لصالح حزب أو جماعة معينة، وهكذا تلتف الأمة حول الدولة.

هناك نماذج في تاريخنا من التضحية في سبيل المصلحة العامة، مصلحة الإسلام ومصلحة الأمة، وهو ما قام به السيد العظيم الحسن بن علي رضي الله عنهما في التنازل عن الخلافة (وقد بايعه أهل العراق ومن كان في جيش والده رضي الله عنه)، وقد كانت كل القوة العسكرية بيده والدلائل الشرعية تؤيده، فهو تتمة الخلافة الراشدة كما جاء في الحديث، ولكنه رأى أن هذا الصراع قد استنفد قوة المسلمين فتنازل اجتهادا منه وعلى بصيرة.

صفحة زوجية فارغة

يوميات الثورات العربية..
"رياح التغيير"

كانت حركة الاحتجاج التي بدأت في تونس كالسلسلة التي إذا تحركت حلقة منها تحركت سائر الحلقات، ذلك لأن الأمة الإسلامية أمة واحدة وتعيش ظروفا متشابهة، عاشت هذه الشعوب خيبة أمل شديدة في الأنظمة التي حكمتها، أنظمة مستبدة ظالمة ينخر فيها الفساد الإداري والمالي، أنظمة ضعيفة خانعة أمام الغرب ومستعلية ومتكبرة على الشعوب، والذي يتابع ما يجري على الساحة العربية لابد أنه لاحظ كيف بدأ نظام القذافي يستجدي التواصل مع أمريكا ويقول إنه نظام ديمقراطي. وهو الذي كان قبل قليل يسب أمريكا ويهاجم الغرب ويتحدث عن حملة صليبية، وكذلك النظام السوري الذي أرسل رسالة مباشرة حين قال أحد رموزه: إن أمن إسرائيل من أمن سورية ويرسل إلى أمريكا أنه مستعد للتفاوض مع إسرائيل.

كانت خيبة أمل هذه الشعوب أيضا في المؤسسة الدينية الرسمية - مع الأسف

الشديد - فهذه الدول الفاشلة لابد أن تعيّن رجالا مثلها ينصاعون لأوامرها، وكانت خيبة الأمل في المفتين الرسميين، إنهم ألعوبة بيد النظام، عدا عن ضعفهم العلمي وانهزاميتهم، وزاد الأمر سوءا أن تمحور حول هذه الدولة الفاشلة دجالون باسم الدين، مشايخ سوء يبررون لها أعمالها. ومما ساعد على نجاح هذه الثورات أو لنقل بداية النجاح أن حركات الإصلاح الديني - على قلة ما بيدها من إمكانات - وصلت إلى كل منزل من خلال القنوات الفضائية، وعندما يتكلم العلماء الصالحون عن العودة إلى الأصل فإنما يعني ذلك العودة إلى الأعمال الصالحة والاهتمام بالناس ومشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية. وإذا كانت حركة (مارتن لوثر) الإصلاحية عند نصارى أوروبا قد استفادت من تدفق الحضارة الإسلامية من خلال الأندلس والجزء الجنوبي من أوروبا، فإن المسلمين في العصر الحديث قد استفادوا من التقدم التكنولوجي الغربي واستطاع الشباب التخاطب والتجمع وتحديد الأهداف من خلال الشبكة العنكبوتية والهواتف المحمولة.

توقف تحرك هذه السلسلة عند دول أخرى وكأن الديكتاتور العربي يختلف عن أمثاله في العالم، فهو متمسك بالسلطة ولو أدى ذلك إلى قتل الآلاف، ولو أدى ذلك إلى هدم المدن على رؤوس أصحابها، ولو أدى ذلك إلى قتل الأطفال والنساء وخراب البلاد وإفقارها.. هذه الديكتاتورية لها نماذج في تاريخ العرب قبل الإسلام، فمن أخبارهم أن بني أسد ملكوا عليهم ملكا من كندة، وعندما قام بعضهم بالعصيان قرر هذا الملك أن يقتلهم بالعصا ولا يقتلهم بالسيف إذلالا لهم وأنهم لا يستحقون السيف، ولذلك سماهم الناس (عبيد العصا) وكان من صلف وائل بن ربيعة أن لا يستقي أحد من الماء إلا بإذنه ولا يتكلم أحد في مجلسه! قال عالم الاجتماع ابن خلدون عن العرب: «إنهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين الوازع لهم من أنفسهم ذهب خلق الكبر والمنافسة فيهم».

سيسقط هؤلاء الطغاة رغم عنادهم ورغم المعاناة الشديدة التي تتحملها هذه

الشعوب، ولكن هذا سيكون بداية المعركة، لأن المعركة الحقيقية ستكون مع الحاقدين على الإسلام من بعض اليساريين والعلمانيين، هؤلاء الذين يقولون إنهم مع الشعب وثورته، ولكننا رأيناهم بعد الإطاحة برموز الفساد في تونس ومصر كشروا عن أنيابهم وبدأوا بشن الهجوم على المتدينين من سلفيين وغيرهم، لأن دخول هؤلاء في السياسة سيؤدي إلى المشاكل وخراب البلد بنظر هؤلاء الحاقدين.

يتكلم بعض العلمانيين عن التعددية والديمقراطية ولكنهم في الواقع العملي لا يطبقون هذه الشعارات ولا يطيقون رؤية المتدينين في الحياة السياسية! وكأن المتدينين ليسوا مواطنين لهم الحق في المشاركة! وكأنهم أتوا من كوكب آخر! والصحيح أن لهم الحق الأول لأنهم هم الوطنيون فعلا، وهم الحريصون على سلامة البلد.

صفحة زوجية فارغة

المؤتمر القومي - الإسلامي

مازال الخطاب القومي، والخطاب الإسلامي الساذج، مازالا يعيشان زمن الشعارات التي تأسر صاحبها، فلا يتنبه للذين يتقنون فن الباطن والظاهر، الذين يعلنون شيئا ويخفون أشياء، ولا يتنبه للواقع المتغير، الواقع الحقيقي لبعض الأنظمة التي ترفع تلك الشعارات فتخدعه عن نفسه ويجري وراءها، وما هي إلا سراب.

عجبت لبعض أعضاء المؤتمر القومي - الإسلامي الذي عقد مؤخرا في بيروت، عجبت للذين يتكلمون عن (الممانعة) وما أدراك ما الممانعة، إنهم يقصدون النظام السوري الذي يوصف عادة بهذا الوصف.

أهذه سذاجة سياسية حيث يضعون هذا الوسام على صدر النظام السوري، أم هي السهولة التي وصف بها ابن خلدون الشخصية العربية عندما لا ترتفع إلى درجة التحضر الإسلامي، السهولة التي تلتقط الوصف وتعيده وتكرره دون تمحيص ودون أن تتعب نفسها في تحري الحق ومعرفة حقيقة هذه الشعارات؟!

الكل يعلم أيها القوميون، اليساريون، المسلمون، الكل يعلم أمريكا، المهيمنة،

المتعجرفة، الرأسمالية، المحتلة، المؤيدة للعدو الصهيوني.. ولكن هل كل من يسميها الشيطان الأكبر هو صادق في دعواه، أم هي الشعارات المناسبة لخداع الجماهير، بينما العلاقات في الباطن على أحسن ما يكون لتقاسم الكعكة في المنطقة العربية؟

هل مازال الشعار (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة) يأسر البعض، ولذلك فلا مانع أن يستمر الاستبداد والظلم والقهر والفساد، كل هذا مقبول ما دامت الدولة تقول عن نفسها إنها دولة الممانعة، وإنها تحتضن (المقاومة) وما هذا (الاحتضان) إلا للاستفادة منه في المناورة والمفاوضة مع أمريكا وإسرائيل.

هل من لوازم الممانعة الاستبداد وإشاعة الظلم وارتكاب كل الموبقات؟

وإذا كان هناك ممانعة، فهل يجب على المثقف عضو المؤتمر القومي - الإسلامي السكوت عن المعتقلات السياسية وعن التعذيب وعن نهب المال العام؟

هل هناك عقدة اسمها أمريكا، وأي نظام أو زعيم يتحدث عن الشيطان الأكبر يجب أن يسكت عن استعباده للشعوب؟

هل الأخ الأكبر (الاتحاد السوفيتي) مازال حاضرا غير قابل للتعزية، يقرر ما يتعين علينا من مجابهة (السوق) والغرب والرأسمالية؟

هل ما زال يفرض علينا رؤيته للعالم، وإذا كان هذا الشبح السوفيتي اختفى، والحرب الباردة انتهت؟

هل نبعث هذا الشبح من جديد، وكل من يرفع شعارات ضد أمريكا نصدقه ولو كان كذابا أشرا؟

المشكلة الأكبر هي في الداخل، هي في الطغيان المدمر للشخصية الإنسانية، يجب محاربة هذا الطغيان الذي أفقر البلاد والعباد، ووضع كل إمكانيات البلاد تحت تصرف العدو.

من الذي ألجأ الشعب الليبي لطلب المساعدات من الأمم المتحدة ومن الغرب؟

أليس الطاغية الذي فاقت تصرفاته كل وحشية الاستعمار في القرون الماضية، وفاقت كل احتلال أجنبي لبلد عربي ومسلم، لماذا نصل دائما إلى حافة الهاوية؟ ما يفعله أبناء جلدتنا يجعل الناس في حالة من الشدة واليأس والخراب، ويقولون: لم يُفعل بنا أيام الاستعمار مثل هذا! أحد أعضاء المؤتمر انتقد مطلب الشعب الليبي ويقول: كالمستجير من الرمضاء بالنار، ماذا يريد عضو المؤتمر القومي - الإسلامي؟ هل يريد أن تدمر ليبيا عن بكرة أبيها، لا أحد من الشرفاء العقلاء يريد التدخل الأجنبي ولكن هل تتدخل الدول العربية أو الشعوب العربية لمساعدة إخوانهم المظلومين في ليبيا؟ نحن نعلم أن الغرب لا يساعد إنسانيا - إلا قليلا منهم - وله مصالح اقتصادية، وإذا كانت اقتصادية تبادلية فما المانع؟ فهذا أهون الشريّن.

الذين يتحدثون عن (الممانعة) يظنون أن مشكلة فلسطين يمكن أن تحل فلسطينيا، وهذا خطأ كبير، فهي مشكلة عربية إسلامية فلسطينية، وإذا كان كل شعب يريد أن يحل مشكلته دون التفات إلى الشعوب المجاورة، ودون اهتمام بمشاكل الشعوب المجاورة الشقيقة فهذا شيء مؤسف.

عضو المؤتمر نعيم قاسم يقول: إن كل الثورات في مصلحة القضية الفلسطينية، وإذا كان هذا صحيحا فلماذا لا تنسحب هذه المقولة على الثورة في سورية؟ الجواب معروف ولكنه التناقض بعينه، أن يؤيد الثورة ضد الظلم هناك ولا يؤيد الثورة ضد الظلم هنا! هي أمور ملتبسة على بعض، وسكوت ومداهنة للباطل لغرض وهوى أما الحقائق فلا يدركها إلا أولو الألباب.

صفحة زوجية فارغة

دروس الثورة في ميدان التحرير [١]

كما أنه لا أحد كان يتوقع ما وقع في تونس، فقد كانت قصص الاستبداد وقمع الحريات، ومحاربة الإسلام تروى والناس متأسفون على الشعب التونسي، ثم جاء ما لم يكن بالحسبان وتحرر الشعب من سطوة الظلم والبغي، وكذلك لم يتوقع كثير من الناس ما حصل فيما بعد في مصر، كان الناس يقولون: مصر بعد تونس، ولكن لم يتوقعوا أن تقع الأحداث بهذه السرعة، ولابد من الإشارة إلى أمور مهمة من خلال متابعة تلك الأحداث:

أولا: أن الذي قام بهذه الثورة، أو هذه الانتفاضة الشعبية هم الشباب الذين لا ينتمون لأي جهة حزبية أو فكرية إنهم شباب رأوا وعانوا وهم طلبة في الثانوي والجامعة كيف تسير البلد وكيف تتدهور الأحوال، السياسية والاقتصادية، وعاشوا مع الإرهاب الذي تمارسه الدولة على أفراد الشعب الذين يعارضون هذا النظام.

ثانيا: كنت أقول دائما وكتبت في هذا الموضوع عدة مرات، أن لا يستهين

الدعاة والعلماء والمثقفون بأمر الجماهير، وأمر عامة الناس، وأن هذه النظرة الفوقية إلى عامة الناس غير صحيحة، وهي مما يقرأونه في الكتب عن أن العامة يجرون وراء كل ناعق ولا فائدة منهم، وهي نظرة كانت موجودة عند النخبة في العصر العباسي، ولكن هؤلاء العامة كان لها دور لا ينسى في الدفاع عن الأرض الإسلامية أثناء الحروب الصليبية وأن العامة عندما يرون الاتجاه الصحيح يؤيدونه.

ثالثا: إن الطغاة على مر العصور يتشابهون في تكبرهم على الناس باحتقار شعوبهم، ولذلك يستغربون أن تثور هذه الشعوب عليهم، بل هم يمنون على هذه الشعوب بحكمهم وتسلطهم وأن كل ذلك لمصلحة هذه الشعوب! كما قال سلفهم فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا .... ﴾ [الشعراء: ١٨] وكان جواب موسى واضحا قويا: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢] وقد قالها فرعون هذه الأمة (أبو جهل عمرو بن هشام) وهو يرى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقوم على صدره ليجهز عليه، قال له: لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم. يقول هذا وهو متسربل في جراحه ويتجرع الموت، فليس سهلا على الطغاة أن يغادروا ما هم فيه من العظمة الفارغة، والذين حولهم يؤزونهم للبقاء لأنهم يستفيدون من هذا البقاء، لقد تكلم كبار القضاة وكبار الشخصيات المحترمة يدعون فيه الطاغية ليرحل، ولكن خروجه أهون عليه من خروجه من قصره.

رابعا: المعركة أصبحت مكشوفة مع الدول الغربية، بل ازدادت انكشافا، فقد أعلنوا دون مواربة عن خشيتهم من مجيء الإسلاميين، ومع أن الإسلاميين كانوا في مصر جزءاً من الأحداث الأخيرة، ولكن الغربيين وبتحريض من فضائيات المال وغيرها من المؤيدين للصهيونية، يؤيدون بقاء الديكتاتوريات والقهر للشعوب العربية والإسلامية، على أن يأتي حكم فيه حرية للدعوة الإسلامية، وحرية بتطبيق الإسلام.

دروس ميدان التحرير [٢]

أولا: لماذا كان هذا المخاض العسير للثورة التي انتصرت أخيرا، ورحبت بها الشعوب العربية التي تعاني من القهر والاستبداد، السبب هو أن هذه الثورة لم تكن في واقعها وكما ينظر إليها ضد رئيس النظام أو النظام كله فقط، ولكنها تحولت مع الأيام إلى ثورة ضد الأنظمة الفاسدة المتخمة بالمال الحرام، وضد إسرائيل وأمريكا التي كانت تناور كل يوم بكلام ملتبس، هذا عدا عن تمني بعض الدول العربية على أمريكا ألا تضغط كثيرا على صديقها القديم.

نحن إذن في مرحلة وكأننا نعود إلى المربع الأول مربع المطالبة بالاستقلال، الاستقلال السياسي والثقافي والاقتصادي، فالواقع أننا كنا في حالة (احتقلال) كما عبر المجاهد الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، نحن ومنذ خمسين عاما في حالة من الركود والاستبداد السياسي يدعم هذا الركود والطغيان أوروبا وأمريكا إرضاء لإسرائيل ولمصلحة إسرائيل.

ولذلك جاء الانفجار في مصر لأنه نتيجة تراكم عشرات السنين من نهب الأموال

العامة وتسلط الأجهزة الأمنية، إنها ثورة ستكون لها آثار إيجابية على كل المنطقة ليس لموقع مصر المتميز جغرافيا وثقافيا، ولكن لأنها وتونس حققتا أول ثورة شعبية سلمية في العالم العربي في العصر الحديث.

إن الشباب الشجعان الذين رابطوا في ميدان التحرير والذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم، هؤلاء شباب لهم الفضل على الأمة العربية كلها.

ثانيا: ظهر أثناء هذه الثورة من المعاملة الوحشية من أفراد الشرطة ما يطرح السؤال: كيف تستطيع هذه الأنظمة أن تربي هؤلاء وأمثالهم على هذه القسوة البالغة وهذا الحقد على الشعب، وكأن بينهم وبين الناس ثأرا قديما، وما هذا الاستعداد النفسي عند هؤلاء وعند الشرطة السرية الذي يجعلهم يقتلون ويضربون أبناء أمتهم دون أي رحمة أو شفقة، هناك أسباب كثيرة ولكن لا شك أن ضعف الوازع الديني والأخلاقي له أثر في ذلك، وهنا نأتي إلى العلماء والدعاة هل يمارسون دورهم المطلوب في غرس هذا الوازع في نفوس الناس، وتربية الناس على أن العبادة لله وحده، وليست العبادة للدولة.

كما يبدو من خلال الاتصالات مع القنوات الفضائية أن بعضا من الشعوب العربية ينقصهم الكثير من العلم بحقوقهم المؤكدة وواجباتهم، كما ينقصهم الكثير من العلم بأهداف الإسلام ومقاصده في محاربة الظلم والدفاع عن المظلومين، وإنكار نهب الأموال العامة ومقاصده في العدالة الاجتماعية، وهنا نرجع أيضا إلى العلماء والدعاة الذين يبتعد بعضهم عن الخطاب السياسي الذي هو جزء من الدين، فأكثر الدول العربية واقعة في تحالف المال مع السلطة، وهذا من أكبر المفاسد حيث يجتمع المال بأيدي قليلة تحوم حول السلطة.

ثالثا: كيف صبرت هذه الشعوب كل تلك السنين ومازال بعضها يصبر على الاستبداد والظلم والفساد، هل الاستبداد شرقي كما يقول الغربيون؛ أم أن القسوة الشديدة التي يتعامل بها الحكام مع شعوبهم تشل قدرة هؤلاء على التفكير

والعمل؟ إن ما وقع في تونس ومصر ينقض مقولة الغربيين عن الشرق، وأثبتت أن هذه الإطلاقات عن العرب والشرقيين غير دقيقة.

ونقول للذين يخافون من كلمة (الحرية) إنك لا تستطيع أن تدعو وتتحرك للدعوة ولا تستطيع أن تخطط للمستقبل إلا في أجواء الحرية، وإذا كانت هذه الحرية للجميع فإن المسلم هو المستفيد الأكبر منها، والحكام الظالمون طالما تلاعبوا بعقول الناس عندما كانوا يقولون لهم إما الفوضى أو الحكم الاستبدادي، وهذا كذب فالحكم المقيد يمنع الفوضى ويمنع الاستبداد.

صفحة زوجية فارغة

متابعات سياسية [١]

بعض الدول العربية تظن أن بقدرتها احتواء النظام السوري وإبعاده عن إيران وفك هذا التحالف بينهما، إنهم واهمون ومخطئون في حساباتهم، ربما يظنون أن العلاقة بينهما هي علاقة مصلحة سياسية أو اقتصادية، بينما هي في الحقيقة علاقة استراتيجية، والذي يربط فيما بينهما أكثر من سياسة واقتصاد، إنه الرابط المذهبي العقدي، وقد رد رئيس النظام السوري بنفسه على من يظن أن العلاقة بينهما قد اهتزت بسب مؤتمر (أنابولس): إن العلاقة بينهما لم تفتر منذ أن تأسست في عهد الشاه وحتى اليوم[١].

إن منظري السياسة في هذه البلاد لا يقرأون التاريخ ولا يعلمون أن الدولة الحمدانية رغم ما وصفت به بأنها شيعية معتدلة، ولكنها قدمت المساعدات لفئة القرامطة المعروفين بإجرامهم ووحشيتهم وإلحادهم في الدين.

---

(١) انظر:الحياة ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

لا يمكن أن نفهم الحاضر دون معرفة الماضي، هذه من أوليات السياسة، والذين لا يدركون هذا أو لا يطبقونه سيقعون في أغلاط كبيرة بل أغلاط كارثية وذلك حين يصفقون لمن تزعم أنها تحارب أمريكا أو إسرائيل ثم تأتيهم المفاجأة بعد زمن ولكنهم وللأسف يعودون لما نهوا عنه كما ذكر أمثالهم في القرآن الكريم.

متابعات سياسية [٢]

هذه المنظمات المهترئة

الأمم المتحدة وما أدراك ما الأمم المتحدة، اسم على غير مسمى، منظمة أسست عقيب الحرب العالمية الثانية، صيغت على هوى الدول المنتصرة، خمس دول أعطت لنفسها حقا خاصا؛ وهو حق النقض (الفيتو) لأي قرار يصدر عن هذه المنظمة، لا أحد أعطاهم هذا الحق ولكنه تكبر وعجرفة المنتصر، والعجيب أن تبقى هذه المنظمة دون تعديل أو تغيير كل هذه المدة وكأن شيئا لم يتغير في العالم، العالم العربي بحجمه الكبير ليس له أي وزن! والعالم الإسلامي بحجمه الأكبر ليس له أي وزن! هل هذه أمم متحدة ؟.. لا أعتقد ذلك!

تفرح روسيا المجرمة عندما ترى نفسها تقف في وجه كل دول العالم، هذه المنظمة إن كانت تريد حل المشاكل الدولية بالحق - ولا أظنها تريد - فيجب عليها أن تغير من هيكلها تغييرا جذريا، وإذا لم تفعل ذلك فلا قيمة لها ولا لأمنائها الذين لا طعم لهم ولا لون ولا رائحة.

الجامعة العربية وما أدراك ما الجامعة العربية، منظمة أسست على غير تقوى، أسست كهيكل منخور لا قيام له بنفسه، لم تستطع هذه الجامعة أن تتخذ قرارا مهما؛ قرارا لمصلحة الشعوب العربية، لم تستطع في يوم من الأيام أن تتخذ قرارا جريئا لمصلحة الأمة. أمناؤها العامون كما الأمم المتحدة لا طعم لهم ولا لون ولا رائحة. موقفها من القضية السورية موقف غير مشرف. وقس على ذلك منظمة التعاون الإسلامي التي تهتم بمسلمي بورما - وهذا طيب - ولا تهتم بمسلمي سورية ربما حتى لا تغضب إيران العضو في هذه المؤسسة، فأين التعاون الإسلامي، وهل هو مقصور على غير الدول العربية؟

متابعات سياسية [٣]

(١)

بعض الناس الذين أرسلوا رسالة إلى أحد الطغاة يطلبون منه أن يستمع لكلمة العقل وأن يجلس للحوار للمشاركة في حل مشكلات البلد، هؤلاء لا يعلمون أن من سنن الله تعالى أن يعمي هؤلاء الطغاة عن رؤية الحق عقوبة لهم، وعندئذ يستمرون في لددهم وبعدهم عن الحق حتى يقصمهم الله وهم على ذلك لا يتوبون ولا يذكرون. إنها سذاجة سياسية أن تطلب من هؤلاء الإصلاح وهم غارقون في الفساد، قد أسكرهم الحكم والعلو في الأرض.

هؤلاء الناس يطلبون من الطغاة التنازل بعض الشيء عما هم فيه، ولكن حاشيتهم تزين لهم أعمالهم وتقول لهم: اثبتوا فالمعارضون غوغاء سينتهون بعد قليل، وتقول لهم: نحن معنا العسكر والشرط والمال، فيستمر الطاغية في غيه ولا يرتدع ولا يفهم (فهمها ابن علي متأخرا!) كيف ترسل له تستجديه؟! فهذا يزيده

غطرسة وكبرا! كيف وهو يحتقر الشعب ويقول: إنهم لم يصلوا بعد إلى درجة ممارسة الديمقراطية؟ إن هؤلاء الطغاة كالحلاق الذي كتب على باب دكانه (غدا أحلق بالمجان)! إنهم لا يسمحون بالحرية لأنها ستنهي حكمهم..

(٢)

كان الغرب ساكتا عن كل هذا الفساد في ليبيا وكل هذا القهر للشعب وكل هذا الجنون، وكل هذا في سبيل البترول والمال، نحن لا نطلب من الغرب أن يساعدنا للحصول على حقوقنا، ولكن أن يكف أذاه عنا ولا يدعم هذه النظم الاستبدادية ويساعدها على الظلم الذي تمارسه، تأخرت أمريكا حتى أظهرت رأيها في النظام الليبي بعكس ما فعلته مع تونس ومصر، وكأنها هي وباقي دول الغرب كانت تنتظر فلعله يبقى رأس هذا النظام، ويبقى البترول ويبقى السفه المالي الذي يمارسه العقيد ويصل كثير منه إلى جيوب الغرب، لذلك فإن ما قام به أبطال ليبيا هو استقلال ثان بعد الاستقلال الأول عن الاستعمار الإيطالي، إن السفه المالي الذي يتكشف كل يوم في أكثر البلاد العربية - إن لم يكن كلها - ليبين عن حجم العفن وحجم الحالة المزرية التي تعيشها الشعوب العربية، إنها أموال تكفي لتنمية كل البلاد العربية، فلتنظر الشعوب أين تذهب ثروتها، إن الشعار يجب أن يكون: الشعب يريد إسقاط الاستعمار بعد إسقاط الطغاة.

(٣)

استغربت مذيعة في القناة البريطانية العربية أن كل المتصلين أو المتحدثين من ليبيا يبدأون حديثهم بـ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وقالت لضيفها: هل هذا يدل على الأصولية؟! فطمأنها الضيف بقوله: لا، ولكن الشعب متدين، إنهم لا يحبون

سماع أي مظهر ديني.. وليس العجب من هذه المذيعة، ولكن من الذي يتهرب من هذا النوع من الأسئلة، لأن بعض الناس إذا سئل: هل تريدون الحكم؟ فيكون الجواب مباشرة: لا، ولكن نحن جزء من هذا الشعب، والسؤال بما أنكم جزء من الشعب فلكم الحق في الحكم كما لغيركم، فلماذا الخجل؟ ورئيس وزراء بريطانيا يذهب إلى مصر فيقابل كل الأطياف السياسية ماعدا الإخوان حتى لا تلاحقه الصحافة؛ لماذا تقابل هؤلاء؟

(٤)

لو سخرت كل الكتابات وكل الجهود لإزالة الطغيان لما كان هذا بعيدا عن الحق، لأن الاستبداد هو الذي قاد تدريجيا إلى ضعف الأمة الإسلامية وانحدار الحضارة الإسلامية.

صفحة زوجية فارغة

الليبراليون الجدد

استغربت من هذه المعركة الدائرة رحاها في بعض البلاد العربية حول (الليبرالية) مابين من يلهج بذكرها أو يفتخر بأنه ليبرالي ويحاول نشرها ولو على استحياء؛ وبين من يعد العدة لنقضها والرد على أصحابها بل وإنشاء المراكز المتخصصة لمناقشتها ودحضها.

صحيح أن هناك ليبراليين عربا يعيشون حالة استلاب ثقافي وحالة اغتراب عن جذورهم وتاريخهم، ووجه الاستغراب هو أن الغرب الذي ظهرت فيه الليبرالية وقرينتها الرأسمالية أصبح الآن يعيد النظر فيها ويبحث عن (ما بعد الحداثة)، ويحاول إيجاد الحلول للانحرافات الفكرية والسلوكية التي تسود مجتمعاته، فالمقلدون عندنا متأخرون دائما ويلهثون وراء غرب يتغير ويبحث عن البدائل. إن ما يجري في أوروبا وثقافتها وفكرها هو نتاج مراحل تاريخية مروا بها، وانتقال هذا الشيء إلى مجتمعات ذات تاريخ مختلف وثقافة وحضارة مختلفة وذات ظروف اجتماعية خاصة لهو خداع وتضليل وتضييع لأعظم الفرص في النهضة على أساس سليم، أساس الحضارة الإسلامية.

هؤلاء المغتربون عن أوطانهم وجذورهم لو أنهم فكروا قليلا لعلموا أن لا تشابه بين المقلَّد والمقلِّد، فالمجتمعات العربية مجتمعات إسلامية وإن التجربة الكمالية لهي خير مثال على الفشل الذريع، لقد أخذت عن أوروبا العادات السطحية واستبدال يوم الجمعة بيوم الأحد واستبدال الحروف العربية بحروف لاتينية، والآن نرى الشعب التركي يعود شيئا فشيئا إلى جذوره وأصالته..

إن من حق الشعوب الإسلامية مقاومة كل المشاريع التي تبعدها عن أصالتها، هذه المشاريع التي تهيم في آمال كاذبة، فكل الأفكار التي طرحت في المراحل السابقة كالليبرالية الهجينة والماركسية والقومية العنصرية لم تستطع إيجاد طوق النجاة مما أصاب الأمة، فكيف نعيد التجارب الفاشلة ونجتر شيئا لم يعد صالحا عند أصحابه حيث وصل إلى سن اليأس، وإن أشد الحروب فتكا في المجتمعات هي الحروب الثقافية التي تريد تحويل الناس عن ثوابتهم وأخلاقهم. ولم يروِ التاريخ أن أمة بلا أصالة استطاعت أن تعيش العصر.

إن هذا النوع من التقليد لا يلقي الشعوب العربية إلا في مغامرة التغرب والتلف، فالتقدم لا يأتي بأن نضع طلاء براقا نخدع به أنفسنا ونخدع جماهير الأمة، ونتمنى على هؤلاء أن يتحلوا بالشجاعة الأدبية التي تتراجع عن التقليد الذي لا يأتي بخير.

إعادة صياغة الفكر القومي

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبدالله الأشعل مقالا في مجلة (العربي) الكويتية محاولا إصلاح بعض المفاهيم التي علقت بـ(القومية العربية) وخاصة ما أثير من معارك بين القوميين والإسلاميين في الخمسينات والستينات من القرن الماضي. ونحن وإن كنا نعتبر العروبة هي اللغة واللغة شيء من صميم الإسلام، ولذلك فالعروبة بهذا المفهوم شيء أساسي في هوية الأمة، ونرفض القومية بمعنى المفاخرات العرقية المغرورة، وإن كنا كذلك نتمنى من أصحاب الاتجاه القومي أن يراجعوا أنفسهم والمفاهيم التي صاحبت ما يسمى القومية العربية، وقد وقع الأستاذ الأشعل في الأغلاط نفسها التي رافقت شعار القومية العربية حيث اعتبر الفترة العثمانية هي (استعمار تركي)، وهذا المصطلح إنما يدل على رؤية سطحية جدا للفترة العثمانية، فإذا كانت الدولة العثمانية قد استعمرت المنطقة العربية أربعة قرون ألا يدل هذا على ضعف هذه الشعوب العربية، كيف لم تقاوم كما قاومت بريطانيا وفرنسا؟ ولا أريد الاسترسال في هذه النقطة حيث كتب الكثير من الردود الجيدة حول ما يسمى بـ(الاستعمار التركي)، كما أننا نتمنى من الأستاذ الأشعل

وزملائه من القوميين العرب أن يطلعوا قليلا على أصول الإسلام مثل القرآن والحديث وهم يعتبرون أن العرب ارتبطوا بالسلام ارتباطا دائما، فقد استشهد الأستاذ الأشعل في مقاله بهذه العبارة وقال أنها قول مصيب: (من تحدث العربية فهو عربي)، وهو جزء من حديث ضعيف: (ليست العربية منكم بأب ولا أم، من تكلم العربية فهو عربي)[1].

(١) ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة رقم: ٩٢٦.

سرقة الثورات

كثر الكلام وكثرت المقالات التي تتحدث عن الخشية من سرقة الجهود العظيمة التي قام بها الشباب في مصر، وإذا لم تكن سرقة فإنها التفاف ومحاولات للاحتواء والرجوع من النافذة وبأقنعة مغايرة.

إن هذه الجهود وهذه الثورات لها الحق الكامل فيما قامت به، لأن هذه الأنظمة جثمت على صدور الشعوب عشرات السنين، وهي غارقة في الفساد المالي وغارقة في الاعتماد على رجال الأمن وقهر الناس، ولكن ألا يحق للذين يتحدثون عن خشيتهم من ضياع هذه الجهود أن يعذروا وأن يسمع لهم؟ فالمتسلقون والانتهازيون كثر وهم يتقنون تغيير جلودهم والقفز إلى الجهة المناسبة.

إن هذا التخوف ليس من باب التشاؤم ولا من باب عرقلة الجهود التي يجب أن تبذل بشكل مستمر حتى يتم الإصلاح المنشود، والسبب في ذلك هو أن هناك تجارب كثيرة سابقة سرقت فيها جهود المجاهدين الذين حرروا الأوطان من المحتلين، وأضرب مثالا على ذلك من مصر، كان الأزهر قويا قبل أن تتدخل الدولة في

شؤونه وقبل أن يهمشه محمد علي باشا، ففي عام ١٧٩٥م قاد نقيب الأشراف عمر مكرم رحمه الله حملة لمواجهة طغيان مراد من أمراء المماليك وأجبر السلطة المملوكية على التوقيع على (حجة شرعية) ومن موادها:

- لا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب.
- لا تمتد يد ذي سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع.

هذا الزعيم الشعبي عمر مكرم رحمه الله كانت له اليد الطولى في تمكين محمد علي من حكم مصر، ولكن الذي جرى بعدئذ هو تنكر الباشا للذي رفعه! ونفي عمر مكرم من القاهرة، الخطأ الذي وقع فيه عمر مكرم هو ثقته بهذا الجندي القادم إلى مصر بتكليف من الدولة العثمانية وتسليمه مصر على طبق من ذهب، ولماذا لا يتسلم هو القيادة وكان أهلا لها؟ وفي الخمسينات من القرن الماضي خدع الإخوان المسلمون بعبد الناصر ولم يتنبهوا إلى طموحات هذا الضابط رغم تحذير المرشد الهضيبي - رحمه الله - وعدم ثقته بعسكرة الدولة، وأدى ذلك إلى كارثة لهذه الحركة الإسلامية.

إن أحابيل السياسيين طويلة وعريضة ولا يدرك مرماها إلا من اكتوى بها ودرس التاريخ الحديث وعلم ما جرى في الجزائر والمغرب وغيرها من سرقة للجهود، فالذين سكتوا عن تحويل مسار الثورة الجزائرية من عربية إسلامية إلى جزائرية علمانية هم الذين تحملوا بعدئذ ما آلت إليه أمور هذا البلد الطيب.

يحق لهذه الشعوب المقهورة منذ أربعين سنة وأكثر أن ترفض الطغيان وأن تطلب الإصلاح، ولكن هناك شيئا مهما جدا يجب ألا يغيب عن البال، وهو السؤال التالي: هل ستقوم بعض الفصائل المعارضة للأنظمة الفاسدة والتي شاركت أو ستشارك في احتجاجات شعبية، هل ستقوم بإدخال المشروع الإيراني الصفوي من الباب العريض حيث لم يتمكن من ذلك في الفترات السابقة؟ إن الذين لا يدركون - مع الأسف - خطر المشروع الصفوي الفارسي، ويظنون أن الثورة في إيران هي ثورة إسلامية وأن إيران تقف ضد المشروع الأمريكي، ولا يقرأون ما

كتب عن علاقة إيران السرية مع أمريكا وإسرائيل[١]، وهذه سذاجة سياسية لا نرضاها لهم.

وهناك حركة سياسة - صوفية في المغرب هي كذلك تحسن الظن بإيران، أو على الأقل هذا ما يفهم من كتابات زعيمها، ولا أدري هل هي سذاجة سياسية أم نموذج للتقارب الصوفي - الشيعي؟ والعجيب أن بعض الحركات القومية هي كذلك تتعاطف مع إيران ظنا منها أن إيران تقف في وجه المشروع الأمريكي! وهؤلاء يسمعون لكل ناعق يتظاهر بكره أمريكا، وكيف لا يرون التعارض بين العروبة والمشروع الفارسي؟

هذا لا يعني الرجوع إلى الوراء، فالأنظمة ليست جادة في الإصلاح الحقيقي، ولو فعلت لكان ذلك أقرب الطرق لما تريده الشعوب من التغيير، ويبدو أنها وصلت إلى حالة من الانغلاق وصمم الآذان ولا يرجى شفاؤها، والغرب المنافق يعلم فسادها وطغيانها ولكنه ساكت لا يهمه إلا مصالحه وحماية إسرائيل، والعقدة الكبرى عنده هي الخوف من أن يكون البديل هو الإسلام..

---

(١) من أهم ما كتب في هذا الباب كتاب: حلف المصالح المشتركة - التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة - لتريتا بارسي، نشر مكتبة مدبولي - القاهرة.

صفحة زوجية فارغة

هل هما مشروعان متضادان؟

إن أكثر ما يؤلم المتابع لما يجري في المنطقة العربية وما حولها، هو هذه السذاجة والسطحية في تناول الأمور وتقويمها والحديث عنها، وهي أمور خطيرة تستحق الرصد التاريخي والاستناد إلى المعلومات الوفيرة والمتابعة الدقيقة اليومية لخفايا التصريحات واللقاءات، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الحديث المتكرر عن المشروع الأمريكي والمشروع الإيراني، وكأنهما مشروعان متناقضان لا يلتقيان، هذا الحديث الذي تعيده وتكرره وسائل الإعلام والمتحذلقون من الصحفيين والكتاب والذين يرددونه دون تفكير وإنما متابعة لما يسمعون، وكأن هذه المقولة بديهية لا تحتاج إلى مناقشة أو بحث والحقيقة التي نعلمها علم اليقين وبدأت تتكشف في الكتب والمقالات هي أن المشروعين المذكورين متنافسان غير متضادين، يختلفان في بعض الأمور ويتفقان في معظم الأمور والاختلاف هو اختلاف المحاصصة واقتسام الغنيمة، والغنيمة هنا هي المنطقة العربية السنية.

إذا كان المشروع الأمريكي يريد تفتيت المنطقة (أكثر مما هي مقسمة) على

أسس عرقية ودينية وطائفية، فإن إيران وحلفاءها في المنطقة هم الذين ينفذون هذا المخطط كما هو الواقع في العراق ومحاولات الهيمنة في لبنان من طائفة معينة، وكما رأينا في سورية حيث سيطرت طائفة صغيرة بما ساعد على تمزق وحدة الدولة والوطن وأجج النزعات والحروب.

وإذا كان المشروع الأمريكي يريد حماية إسرائيل فإن العلاقات بين إيران وإسرائيل علاقات قديمة والمصالح والمنافع متبادلة ولكنها غير مكشوفة، لأن إيران لا تريد أن تخسر العالم العربي لتستطيع نشر التشيع فهي تهاجم إسرائيل في العلن إرضاء للشارع الإسلامي وتقيم علاقات مع إسرائيل بما تمليه عليها مصالحها، «ففي بداية ١٩٨٠م زار إسرائيل أحمد الكاشاني - النجل الأصغر لأبي القاسم الكاشاني - من أجل البحث في صفقات الأسلحة والتعاون العسكري لضرب المفاعل النووي العراقي، وانتهت رحلته بموافقة (بيغن) على شحن عجلات لطائرات الفانتوم، بالإضافة إلى أسلحة للجيش الإيراني، وقد فعل (بيغن) ذلك معارضا للحظر الأمريكي على إيران، وقد حدثت مشادة بين بيغن وكارتر انتهت بفرض حظر على شحن قطع عسكرية لإسرائيل، وقد أدى دفاع بيغن عن إيران إلى سماح الخميني بنقل الآلاف من يهود إيران بالحافلات سرا إلى باكستان ومنها إلى إسرائيل»[(١)].

«وعندما سئل الخميني عن مدى شرعية التعامل مع إسرائيل كان جوابه إذا لم يكن التعامل مباشرا فإنني لا أبالي»[(٢)].

وأثناء الحرب العراقية الإيرانية، وبعد دخول العراق إلى الأراضي الإيرانية؛ «قطع موشي ديان وزير خارجية إسرائيل زيارة خاصة إلى النمسا، وعقد مؤتمرا

---

(١) تريتا بارسي: حلف المصالح المشتركة - التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة - نشر مكتبة مدبولي - القاهرة ص٩٥.

(٢) المصدر السابق ص٩٥.

صحفيا حث فيه أمريكا على نسيان الماضي ومساعدة إيران للاحتفاظ بدفاعاتها..»[١].

وفي موضوع الهجوم على المفاعل النووي العراقي، فقد تم التباحث بشأنه بين إسرائيل وإيران «وقد وفرت إيران لإسرائيل الصور الفوتوغرافية والخرائط المفصلة، وقد تم الاجتماع بين موفد إسرائيل وممثل للخميني في فرنسا قبل شهرين من ضرب المفاعل، وشرح الإيرانيون تفاصيل هجومهم غير الناجح على المفاعل العراقي في ٣٠/ ٩/ ١٩٨٠م، وسمحوا للطائرات الإسرائيلية بحق الهبوط في مطار تبريز في حال الضرورة»[٢].

وحسب كلام (محسن ميردامادي) أحد أعضاء البرلمان الإيراني، فإن فريق (نتنياهو) كان يود إصلاح العلاقات مع طهران، وكرد على هذا الانعطاف دفع الإيرانيون حزب الله إلى الموافقة على وقف إطلاق النار في شهر إبريل عام ١٩٩٦م، «وفي عام ٢٠٠٠م كان (باراك) مصمما على حل النزاع الفلسطيني، ولأنه يعرف أن إيران تعرقل الاتفاق لأنه لا يعطيها دورا، فقد قرر في ١٧/ ٤/ ٢٠٠٠م، أن ينسحب من لبنان ويسلب إيران وسورية ورقة مهمة حتى لا تتعطل الصفقة مع الفلسطينيين، ولكن إيران وسورية وجدوا في الانسحاب نصرا ودليلا على نجاح المقاومة»[٣].

«وفي عام ٢٠٠٢م ضبط عتاد عسكري إسرائيلي في ألمانيا كان متوجها إلى إيران، وهذا يكشف عن العلاقات السريّة مع الشركات الإسرائيلية»[٤].

وإذا كان المشروع الأمريكي يريد نفط المنطقة فإن أمريكا تهيمن على نفط

---

(١) المصدر السابق ص١٠٥.

(٢) المصدر السابق ص١٠٧.

(٣) المصدر السابق ص٢١٩.

(٤) القدس العربي ١/ ٩/ ٢٠٠٢م.

العراق بالعقود المذلة التي وقعتها مع الحكومة هناك، وإيران تنهب أيضا نفط العراق عن طريق العصابات في الجنوب حيث يباع النفط لإيران بأسعار زهيدة.

وأما المشروع النووي الإيراني فربما لا تكون أمريكا راغبة في أن تتحول إيران إلى دولة نووية، ولكن الواقع الذي يجري أمامنا هو أن إيران تماطل وتستفيد من الوقت، وأوروبا لا تحبذ الحروب وتفضل الحل الدبلوماسي، وروسيا والصين لهما مصالح مع إيران، وحتى لو أوقفت إيران برنامجها النووي فإن الثمن المقابل الذي تريده سيكون باهظا وعلى حساب المنطقة العربية.

إيران واللعبة الجهنمية

هل نحن مسكونون بنظرية المؤامرة ؟ كلا، بل إني شخصيا ممن كتب حول هذا الموضوع منتقدا الذين يضخمون من نظرية المؤامرة. ولكن الوقائع والأحداث تثبت أن إيران تتبادل الصفقات مع الغرب، تهدئة في المنطقة أو حروبا مقابل امتيازات ووعود من الغرب ومن أمريكا، فقد صرح (أوباما) أخيرا بأنه سيفاوض إيران بلا شروط، وإذا أوقفت البرنامج النووي فسيعطيها امتيازات كبيرة.

منذ حرب الخليج الأولى والشعوب في المنطقة العربية في انقسام وحيرة وفتنة، أين الصواب وأين الخطأ؟ أين الحق وأين الباطل؟ ثم جاءت حرب الخليج الثانية وازداد الشرخ والانقسام، حتى على مستوى النخبة، ثم جاء سقوط بغداد، ثم حرب تموز في لبنان، وكل هذه الأحداث كان لإيران دور فيها سواء كبر أم صغر، لقد برعت في الاستفادة من أخطاء جيرانها، وعرفت كيف تخاطب الغرب بل كيف تعامله، وأمسكت بخيوط قوية في المنطقة تشدها وترخيها حسب ما تمليه عليها مصلحتها من تقاسم النفوذ مع أمريكا وإسرائيل. يقول مستشار الأمن القومي

الأمريكي سابقا (بريجينسكي): «إن وجود إيران قوية، حتى وإن كانت مدفوعة دينيا هو من مصلحة الولايات المتحدة.. »[١].

إيران تقول لأمريكا: أنا الذي أستطيع إحداث زلازل سياسية في المنطقة أو أدعو إلى الاستقرار، وهي بتوجهها العقدي حيث يستجيب لها الأقليات المزروعة هنا وهناك، وكذلك المغفلين من أهل السنة تستطيع الحصول على الامتيازات المطلوبة. لقد بدأت حملتها على مصر قبل أحداث غزة، فهل كان هذا من أجل فلسطين، لا أعتقد ذلك، بل لأنها تريد أن تكون اللاعب الأوحد في المنطقة، ونحن هنا لسنا في معرض الاتهام لأحد، ولكن ما الذي يمنع إيران والنظام السوري أن يخربوا المنطقة ويقلبوا الطاولة كما يصرحون، لأجل أغراض خاصة بهم؟ ما الذي يمنع سورية أن تتآمر على حماس في سبيل مصلحتها، وقد فعلت هذا عندما كان (البعث) في السلطة قبيل (١٩٦٧م)؟ يقول شوقي ملاسي: «وفوجئت بمالك الأمين وهو أمين سر منظمة البعث في سورية المؤيد لصلاح جديد وهو يتحدث بفرحة شديدة بأنهم قد نجحوا في إيقاع عبد الناصر في الفخ، وأنهم جروه إلى معركة خاسرة ستقضي على زعامته للعالم العربي، لتكون الزعامة للبعث» ويتابع هذا الكاتب أنه سمع من ابراهيم ماخوس (كان وزيرا للخارجية) يقول: «إننا أعلنا سقوط الجولان قبل أن تسقط لكسب عطف الرأي العام الدولي..»[٢].

سألني بعض الأخوة أن أكتب حول (ما بعد غزة)، وأقول لهم: ليست القضية قضية عبر ودروس ننساها، إننا بحاجة لتأمل عميق لما جرى ويجري ومعرفة الحقائق، نحن لا نحتاج في كل مرة أن تهدم البيوت ويقتل الأطفال حتى نستنتج العبرة، إن الذي حدث في غزة إذا كان قد آلم البعداء والغرباء في كل الكرة الأرضية، أفلا يؤلم المسلم القريب والقريب جدا من غزة؟ المقاومة مشروعة ضد

---

(١) بريجينسكي: لعبة الشطرنج ص ٢٥٠.

(٢) صحيفة القدس العربي ١٣/ ٥/ ١٩٩٧م.

عدو محتل مجرم هذا من البديهيات، ولكن هل نستطيع أن نقف وقفة تأمل لما يجري؟ ولا أحد يدافع عن الأنظمة العربية التي لا تريد تحرير فلسطين ولا غيرها، هذا شيء معلوم أيضا. ولكن نريد أن نعلم ماذا يجري في المنطقة؟ من الذي يستفيد على حساب الدم الفلسطيني؟

القضية أكبر من العتاب أو النقد، إنها قضية المنطقة كلها، من الذي يحرك الخيوط ويتآمر على أهل السنة؟ وإذا كانت قضية فلسطين هي القضية الأولى ولكن ما بال القضية السورية والقضية العراقية وقضية العالم العربي والنهضة والحرية والتنمية والعلم؟ هل تحل قضية فلسطين لوحدها دون هذه القضايا؟ الأمة متشابكة والمشكلة مترابطة لا شك أن شعب غزة أظهر من البطولة والصبر والمصابرة الشيء الكثير والذي يدل على قوة الإيمان، ويستحق هذا الشعب كل الدعم بجميع أشكاله وصوره، إنها مرحلة من مراحل المقاومة، ولكن نتمنى أن يكون القرار مستقلا، فالتفاؤل يأتي من التماسك الذاتي ومن نقاء القلب وسلامة الصدر والاعتزاز بالمبادئ.

إن الشعوب العربية التي خرجت إلى الشارع وتبرعت بالذي تستطيع، لهو دليل على وجود الخيرية ويجب أن تستثمر هذه الإيجابية، وكذلك التأييد العالمي المنقطع النظير وغير المسبوق، فالشعوب الأوروبية لم تعد ترضى بأداء حكوماتها أو صحفها بل رأت المجازر عيانا، وقد خسرت إسرائيل إعلاميا، ومن الملاحظ - وهو شيء مؤسف- أن الدول العربية خرجت من دائرة التأثير وأصبح التأثير للدول الإقليمية، ونحن إن كنا نأمل أن يكون موقف تركيا في صالح المسلمين وصالح المنطقة وأن يكون سدا في وجه الأطماع الإيرانية، إلا أن عدم التوجه (الأيديولوجي) للحكم في تركيا لا يعطيه القوة والتأثير في المنطقة.

صفحة زوجية فارغة

وما النصر إلا من عند الله

مازلت أقول وأردد أن المعركة على أرض الشام هي معركة فاصلة، وهي من معارك التاريخ الكبرى، لأنها تواجه مشروعا صفويا له أطماع كبيرة في المنطقة العربية، ولذلك نقول لإخواننا في فلسطين الذين لم يعيروا هذه القضية أهميتها المطلوبة: لن تتحرر القدس إلا بعد أن تتحرر دمشق، بل لن يصفو الجو للبلاد العربية الأخرى ولتركيا أيضا إلا بعد أن تتحرر دمشق.

وإن معركة بهذا الحجم وهذه الخطورة لا بد فيها من تضحيات وحشد كبير ووضع كل الإمكانات بأفضل مما هو واقع الآن. إن الشعب السوري في الخارج يملك من الإمكانات الشيء الكثير، ويجب عليه أن يقدم أقصى ما يستطيع من دعم لهذه الثورة المباركة إن شاء الله، وقبل كل هذا يجب أن يعلم هذا الشعب أن النصر من عند الله، ويجب أن تبقى القلوب معلقة بالله، فهو الذي يزرع الرعب في قلوب الأعداء، وهو الذي يرمي الخلاف بينهم، وهو الذي يثبت قلوب أوليائه. وقد قال الله سبحانه وتعالى لأهل بدر: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ١٠] حتى

لا يصيبهم داء الغرور، وأهل بدر هم خيرة الصحابة، فنحن أولى أن نستجيب لوعد الله ونتوكل عليه وحده.

إن دعم الثائرين في الداخل أصبح واجبا شرعيا لأنهم يدافعون أعداء الله، يدافعون الاحتلال الداخلي وهو أشد سوءا من الاحتلال الخارجي، ولعل هذه المدافعة تبرز القيادات الحقيقية التي عانت وجربت واكتوت بنيران الظلم والإجرام وعرفت من العدو أكثر مما تعرف بعض القيادات في الخارج.

عندما تغور الأخلاق

جاءت أحداث سورية وقد غارت الأخلاق عند كثير من الزعماء السياسيين في الغرب والشرق كما يغور الماء في الأرض، وذهبت الشجاعة الأدبية عند صناع القرار ولم يلتفتوا إلى النواحي الإنسانية والأخلاقية ليقفوا في وجه وحشية النظام السوري، ولم يلتفت آخرون إلى الأخوة الدينية مع حق الشعب السوري في العيش بحرية وكرامة، وفي مؤتمر تونس تحولت المشكلة السورية إلى قضية إغاثية وأهملوا ما يعانيه الشعب من القتل والسجن وتدمير المدن، ويصر الأمين العام للجامعة العربية على المناورات الدبلوماسية التي تعطي مزيدا من الوقت للنظام السوري ليقتل ويدمر، وإن أمثال كوفي أنان لا يعلمون طبيعة النظام في سورية وهو يتحدث سلفا عن وقف العنف من الطرفين، فهذا دليل على أن الصورة غير واضحة أمامه.

جاءت أحداث سورية في الوقت الذي يحرص رئيس أمريكا على أصوت الناخبين.. فيبدأ النفاق والتقرب من المنظمات الصهيونية، وهذه الانتخابات وأصوات الناخبين أصبحت معضلة في الغرب، وسنجد بعض الحكومات هناك ممن يخترع

شيئا اسمه الإرهاب ويسجن أناسا ظلما ليقول رئيس الوزراء لشعبه: انتخبوني لأني أحارب الإرهاب، بل وصل الحرص على أصوات الناخبين أن يتدخل هؤلاء السياسيين في شؤون التعليم والمدارس، فهم يراعون أولياء الطلبة لكسب أصواتهم وذلك على حساب المدرس ودوره في التربية والتعليم، وهكذا حصل التلاميذ على سلطة لم يطالبوا بها.

لم نعد نسمع في هذا العصر من السياسيين مواقف شجاعة كما كان بعضهم سابقا، فوزير خارجية ألمانيا تراجعت لهجته الحادة ضد النظام السوري وكذلك نظيره الفرنسي، ما الذي يجري وراء الكواليس من ضغوط؟ هل كل ذلك من أجل إسرائيل أم أن السياسة أصبحت تابعة ذليلة للاقتصاد ورجال الأعمال وللشركات الكبرى؟ كما هي أسيرة لأصوات الناخبين.

هل هذا يضعف من عزيمة الشعب السوري؟ لا أعتقد ذلك أبدا فقد عرف هذا الشعب طريقه، إنه يعتمد على الله سبحانه وتعالى أولا ثم على تضامنه وتضحياته في مقاومة الشر، وله أيضا حق النصرة من الشعوب العربية والإسلامية.

أوهام مرعبة

هناك أوهام سياسية ترعب بعض الناس فيصدقونها أولا ثم يحاولون التهرب منها وإبعادها عن الأذهان، ففي الواقعة السورية تتردد كثيرا مقولة: نحن نخشى الحرب الأهلية! ويقصدون الحرب الطائفية، ولذلك لا بد من كذا وكذا من التطمينات والضمانات، والحقيقة أن هذه المقولة هي وهم أو كلام مغرض، فهذه الحرب لن تقع لأن الشعب السوري عنده من الوعي ما يكفي ولن ينجر إليها أبدا، ولكنه الآن يدافع عن نفسه، والذين يتكلمون ويسمونهم (محللين سياسيين) لا يعرفون طبيعة الشعب السوري، إنه أرقى من أن يدخل في هذه المزالق، ولكنه في الوقت نفسه عرف أعداءه على حقيقتهم وعرف أصدقاءه.

ومن الأوهام الذي ترعب بعض الناس القول أنه لا بد من ضمانات للأقليات، فيبدأ الحديث عن المواطنة والوطن والحقوق والواجبات، ويقال لهؤلاء: هل هذه الأقليات وجدت الآن أم لها مئات السنين تعيش مع الأكثرية ولم يقع ولو لمرة واحدة أي نوع من الظلم عليها، ثم لنرجع قليلا إلى التاريخ القريب ونسأل:

مَن الذي حمى اللبنانيين أثناء فتنة (١٨٦٠م) بين الدروز والنصارى؟ أليس هو الأمير عبد القادر الجزائري الذي استقر في دمشق بعد ثورته في الجزائر؟ وهذه هي روح الحضارة العربية الإسلامية.

إن إثارة موضوع الأقليات ما هي إلا حيلة يرددها من لا يريد تقديم أي دعم للشعب السوري الذي تقع عليه المجازر الأسدية كل يوم.

يتذكر الأستاذ محمد الميلي: «من أحداث الحرب العالمية الثانية أن يهود تونس خافوا من الاضطهاد النازي بعد دخول الألمان إلى القطر التونسي، فهاجر عدد كبير منهم إلى الشرق الجزائري بينما لجأ آخرون ممن كانوا يقطنون الريف إلى جيرانهم من الأسر التونسية التي آوتهم وأخفتهم عن سلطات الاحتلال، وفي الشرق الجزائري طلب اليهود أن يتولوا هم ذبح الأغنام والأبقار فأفتى لهم عالم البلدة لهم بذلك، وقال للمسلمين: يجوز أكل ما ذبحوا لأنه حلال»[١].

إنها الحضارة الإسلامية التي اتسعت للجميع، فهل يجازى المسلمون الذين عاشت معهم هذه الأقليات بسلام ووئام أن يقف بعضهم مع الظلمة الطغاة، كما صرح بطريرك الطائفة المارونية في لبنان؟

---

(١) حق المعرفة وحق الأمل ص١٩٩.

هل نحن طائفيون؟

مع أننا لسنا طائفة من الطوائف، لأننا نحن الأكثرية، ونفكر بطريقة الأكثرية التي يتسع صدرها للآخرين، ولكن إذا كان البعض ينعتنا بالطائفية؛ فنقول له: إذا كانت الأكثرية طائفة؛ فنحن طائفيون بامتياز، لأن أهل السنة هم الذين يتصرفون كالأخ الأكبر، وصاحب القلب الواسع، أهل السنة هم الذين أنقذوا أسرى النصارى واليهود من ملك التتار قازان، وكتب ابن تيمية إلى ملك قبرص يذكر له أنه هو الذي اشترط على قازان إطلاق الأسرى كلهم، وليس المسلمون فقط، ويقول في رسالته: «نحن قوم نحب الخير لكل أحد، وقد أطلقنا أسارى أهل الذمة؛ فهذا عملنا وإحساننا والجزاء عند الله».

وأهل السنة هم الذين حموا نصارى لبنان في فتنة ١٨٦٠م وكان الذي ساعدهم واستقبلهم في مدينة دمشق هو الأمير عبد القادر الجزائري.

وأهل السنة هم الذين استقر اليهود عندهم في المغرب وتونس بعد أن أخرجتهم محاكم التفتيش في الأندلس كما أخرجت المسلمين، وكان جزاء المسلمين أن تآمر

هؤلاء اليهود على الدولة العثمانية وعلى السلطان عبد الحميد رحمه الله، بعد أن رفض إعطاءهم أرضاً في فلسطين.

وأهل السنة هم الذين استقبلوا طائفة الأرمن وأعطوهم في بلاد الشام وخاصة في سورية ولبنان الأرض، وسكنوا واستقروا، ولكنهم الآن في لبنان يقفون مع أعداء أهل السنة.

هل كان أهل السنة مخطئين في هذا التسامح؟ أم أن هذا واجبهم، وهذا دينهم وثقافتهم؛ فهم يتحملون الأذى أحياناً في سبيل بقاء وحدة المجتمع وبقاء العيش المشترك؟ لاشك أن هذه ثقافتهم، ولكن الغفلة عن أعداء هذا الدين هم مخطئون فيها!

لماذا يتعاطف الروس مع النظام السوري

النظام الروسي اليوم هو وريث النظام البلشفي اللينيني الستاليني، وهو النظام الذي اخترع عبارة (تطهير الوطن) من الحشرات الضارة، فالمعارضون لم يعودوا من البشر، وإنما أصبحوا حشرات، قبل نهاية ١٩٢٠م تم إنشاء (٢٤) معسكر اعتقال وبها (٥٠٠٠٠) معتقل، ويشهد الكاتب الروسي (سولجنتين) أنه أثناء الحكم البلشفي الشيوعي اختفى حوالي (٥٥) مليون نسمة، وستالين هو مخترع فكرة (عدو الشعب) الذي وظفه لأقصى حملات العنف والإعدام دون اتهام أو محاكمة، إنه تشابه عجيب بين هذه الأنظمة المجرمة ولكن الإنسان الحر هو أقوى من الظالمين، وقد وهب الله الإنسان القدرة على المشي منتصباً، حتى لا ينحني إلا لله، فلا مساومة على الحرية لأن المساومة تعني تجرع كؤوس الذل مرة ثانية دون الإحساس بسمومها القاتلة، والحرية هي وسيلة لغرض أسمى وهو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

صفحة زوجية فارغة

منارات تهدي

(١)

تلتبس الأمور على كثير من الناس في قضايا مهمة من أمور الواقع السياسي العربي والدولي، خاصة حين يريد تنزيل النصوص أو كلام السابقين على هذا الواقع، وهذا الالتباس إما لعدم التعمق في فهم مدلولات النصوص، أو معرفة مآلات الأشياء إلى أين تصير؟ وإما لأخذ مقولات تظهر لبادي الرأي أنها حقيقية وهي في الواقع من قبيل التهويش والخيال.. وقد يصعب على بعض الناس تبين الفروق الدقيقة بين حالة وحالة، فهو يرى أن الإخوة في ليبيا يتقاتلون، إذن فالغرب هو وراء إزاحة القذافي لكي يقسم ليبيا، ويقرأون مقالاً للتالف (كيسنجر) يتكلم عن تقسيم البلاد العربية فيؤكدون هواجسهم، ولا يعلمون أن الثورات لها عقابيل، ولا بد أن تقع الأخطاء في بلد عانى أربعين سنة من الاستبداد والظلم.

وإذا قلنا أن التمدد الإيراني الصفوي وما يتبعه من إجرام وقتل واستيلاء على

الحواضر العربية بغداد ودمشق وبيروت هو الخطر الماحق الآن، الذي يجب إيقافه قالوا: وأين قضية فلسطين؟ ولا يدرون أن رجوع بغداد ودمشق إلى الهوية الإسلامية العربية هو المقدمة لتحرير القدس وفلسطين إن شاء الله.

فقضية كبيرة جداً مثل قضية فلسطين لا بد لها من مقدمات النصر كما فعل السلطان صلاح الدين رحمه الله.

هل الذي يوافق ويدعم النظام في سورية على قتل الشعب السوري يريد تحرير القدس؟!

وأما الخلاف حول الملف النووي؛ فإن إيران عندها من المرونة ما ترضي الغرب وإسرائيل للوصول إلى حلول وسطية تكسب منها الغنائم، ويبقى العدو الأول لها هو المنطقة العربية السنية.

(٢)

هل يمكن أن يكون هناك وحدة على حساب الدين والعقيدة؟

إن الجواب على هذا السؤال يأتي من خلال سورة (طه) فعندما غاب موسى عليه السلام عن قومه وفتنهم السامري وعبدوا العجل ورجع موسى عليه السلام إلى قومه ﴿غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦] كما قال تعالى، عاتب أخاه هارون؛ كيف فعل بنو إسرائيل فعلتهم وهو بين أظهرهم، اعتذر هارون عليه السلام قائلا: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤] ولم يعذر موسى هارون لأن التوحيد وعبادة الله أهم من موضوع التفرق.

نظرية المؤامرة

بعض الناس ما تزال نظرية المؤامرة معششة في دماغه، فهو يفسر الأحداث كل الأحداث من خلالها، قال لي أحدهم: أنا أشك في صفاء الثورة السورية، قلت له: لماذا؟ مالدليل على ما تقول؟.. قال: بما أن الدولة الفلانية تؤيد هذه الثورة إذن فإن أمريكا تؤيد الثورة، هو لا يرى كل هذا الدمار الذي يفعله النظام ولا يرى كل هذا القتل والتهجير ويفكر ولو للحظة أن الذي يقتل الناس، يقتل الأطفال والنساء والشيوخ ويدمر المدن هو مجرم عاتٍ، يجب على من عنده ذرة من الإنسانية أن يمنع هذا المجرم من الاستمرار في ظلمه، وهو لم يفكر ولم يتابع أن أمريكا لم تساعد الشعب السوري حتى الآن، إذن لا ارتباط بين مساعدة الدولة الفلانية وأمريكا في هذه الحادثة، ولكن لنفرض أن أناسا من الغرب قدموا مساعدات إنسانية لبلد ما (وهذا يحصل أحيانا) فهل نستمر في رفضها ونضع نظرية المؤامرة على أعيننا، وهل لو قال كافر كلمة حق يجب أن نرفضها، بينما نجد في القرآن أن الله سبحانه وتعالى وافق على كلمة حق قالتها ملكة سبأ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٤].

صفحة زوجية فارغة

الأحلام الكبيرة

هل هو غريب أم هو ممنوع أن يحلم الإنسان في سورية وفي غيرها من البلدان بواقع جديد، فيه الحرية والكرامة الإنسانية فيه التقدم العلمي والتضامن الاجتماعي وإقامة العدل، هل يستكثر على الإنسان في هذه المنطقة أن يحلم بأهداف كبيرة، بتغيير يصلح ما أفسده النظام السوري خلال عقود من السنين؟ هل من الخيال أن يحلم هذا الإنسان بمحاسبة الحاكم على أخطائه (كما في بعض الدول)، وأن يكون الشرطي والجندي في خدمة الأمة والدولة (كما في بعض الدول)، ولا يكون شوكة في حلق المواطن وعدوا له؟

ما المانع أن تكون الحرية السياسية بكل معانيها مكفولة للجميع؟ ولماذا يجب أن يعيش المواطن تحت إرهاب الأمن في كل لحظة من حياته؟ بل لماذا لا يرتفع سقف المطالب بعد نجاح الثورات إلى أقصى حد؟ فهذه الشعوب التي ضحت وخرجت للشارع تاركة أعمالها تستحق أن تعيش عيشة كريمة تظهر فيها كل معاني الإنسانية.

بعض الناس الذين عاشوا حياة مديدة تحت قهر الاستبداد يفكرون بطريقة أخرى، أحدهم ذو نظرة سوداوية يعتبر هذه المطالب وهذه الأحلام من قبيل الخيالات، وقد رسخ في ذهنه أنه حتى لو نجحت الثورات فإن الاستبداد سيعود، وكأن هذه الشعوب لا يصلح لها الحرية لأنها لم تتعود عليها ولم تمارسها، وهو يتخذ ما يجري في تونس ومصر من قلاقل وتجاذبات سياسة بين الأحزاب، وبين مطالب الشباب اتجاه الحكومة، يتخذ ذلك دليلا على رؤيته التشاؤمية، والذي يسميها واقعية، إن أقصى ما يتمناه هذا الواقعي هو (المستبد العادل) كما كان يتمنى الشيخ محمد عبده في عصره، هذا منطق مرفوض لأن الثورات نفسها دليل على أن هذه الشعوب تعي معنى الحرية وتطالب بها.. نعم، قد تتعرض الثورات لثورات مضادة أو لانتهازية ترقيعية وزراعة أعضاء، ولكن الذي يحميها من ذلك هو التفات من قام بها وآزرها إلى المرحلة التالية بعد نجاحها.

التطلعات الكبيرة مشروعة ولو كان تحقيقها يحتاج إلى وقت وجهد، والإنسان بفطرته التي خلق عليها هو حر ومسؤول، وستكون آماله واسعة، وعندما تتاح له الحرية يكون أقدر على تحقيق الغايات الكبرى، ثم ألا يستحق هذا الوطن أن يحلم المواطن ببنائه من جديد، هذا الوطن الذي عاش فيه كبار العلماء والأدباء والزعماء، وكان موئل البطولات قديما وحديثا، وقد شاهدنا بطولات الشباب في الثمانينات، والآن يسجل الشعب السوري والشباب خاصة أعظم البطولات والانتصارات على الاستبداد والظلم، نتحدث عن الوطن من زاوية الحب الطبيعي حيث نشأ الإنسان وترعرع ودرس وتعلم وصادق وآخى، الوطن الذي هو جزء في بلاد الشام التي باركها الله سبحانه وتعالى وورد فيها الأحاديث الصحيحة، هذه البلاد التي تتصدى دائما لأعداء الإسلام في الخارج والداخل، ليتخذ الله من أهلها شهداء ويمن عليهم بالتمكين.

التسول في السياسة

لا يصلح في السياسة مبدأ التسول، فالذين بحت حناجرهم وهم يتسولون الطائفة هم مخطئون، فليس هكذا يكون الخطاب! الخطاب هو: إما أن تكونوا مع الشعب السوري في مطالبه المشروعة العادلة - وهي مطالب الجميع وليس لتكوين معين - وإما أن تكونوا مع النظام أي مع الظلم والقهر والفساد. هي معركة بين الحق والباطل.. بين العدل والظلم بين الإنسانية والتوحش الذي يمارسه أوباش من النظام، مطالب الشعب يجب أن يؤيدها كل الأحرار وكل الشرفاء من كل مكون من مكونات المجتمع السوري، ولا عذر لأحد في السكوت عن هذه الدكتاتورية.

أحد الإخوة المعارضين يتحدث عن (عقد اجتماعي) ولا أدري عن أي عقد يتحدث؟! القضية ببساطة أن هناك طوائف سكنت في هذه المنطقة وعاشت مع الأكثرية التي تمتاز بالعدل والرحمة والتسامح، القضية أن هناك مواطنين يتساوون في الحقوق السياسية، من أين جاء هذا العقد وكأن (مونتسكيو) يتحدث من باريس أو (هوبز) من بريطانيا؟! الإسلام بتشريعاته وعدله هو الذي منع المذابح المذهبية أو الدينية على النحو الذي وقع في أوروبا بين الطوائف المسيحية في القرن الثامن عشر، فهل يقدّر الناس هذا التسامح وهذا العدل طيلة مئات السنين؟

صفحة زوجية فارغة

أحداث سورية المسماة بغير اسمها

يتقن الغربيون (وبخبث) التلاعب بالمصطلحات وذلك لإبعادها عن مضمونها الحقيقي، مثل قولهم عن المنطقة العربية (الشرق الأوسط) لإبعاد الهوية العربية الإسلامية، وما يحدث في سورية في هذه الأيام يسميه الغرب (حربا أهلية) أو هو يخشى أن تتطور إلى حرب أهلية، بينما هي في الواقع حرب بين أهل السنة ومن يساعدهم من الشرفاء وبين فرقة باطنية بأسمائها المتعددة، أو بالمصطلح الإعلامي هي (تطهير ديني) ضد أهل السنة، لأن الضحايا كلهم أو في الغالبية العظمى هم من أهل السنة سواء من الشهداء أو السجناء أو الجرحى أو المهجرين.

إن الذي يتابع الأحداث في المنطقة العربية سابقا ولاحقا يعلم أنه لو قتل عدد قليل من أي طائفة من الطوائف الأخرى (الأقليات) لقامت أوروبا ولم تقعد بحجة حماية الأقليات، ولو وقعت مجزرة واحدة في أي قارة من القارات لتحركت كل الدول الغربية، إذن ليس هناك مانع من قتل أهل السنة وتدمير مدنهم وقراهم، ويصبح الحديث في الإعلام ليس عن عدد القتلى من الرجال والنساء والأطفال

ولكن عن عدد المجازر، مع أن كل مجزرة من هذه المجازر تكفي لأن يجتمع لها مجلس الأمن (مجلس الخوف) ولكن لا نسمع إلا شجبا وإدانة (ولعل هذه من مصطلحات الغرب التي لا تعني شيئا)!

مع أنني لا أرغب كثيرا في الحديث عن شيء اسمه المؤامرة ولكن الحقيقة تجبهنا هنا: أليست هي مؤامرة على الشعب السوري السني؟ وإلا كيف نفسر هذا التراخي وهذه المماطلة من (أصدقاء سورية)؟ وما معنى هذه اللقاءات دون نتيجة لوقف حمامات الدم ونحن لا نتهم؟ بعض الدول العربية أو بعض دول الجوار أنها شريكة في هذه المؤامرة، ولكن ألم يأن لهذه الدول أن تدرك خطورة ما يجري في سورية، وأنه لابد من إزالة هذا النظام الذي يسبب القلق والمصائب لكل دول الجوار، نقول ليست شريكة ولكن ما معنى تصريح السيد أردوغان يبشرنا بقرب النصر دون أن تقدم تركيا الدعم العسكري اللازم للجيش الحر؟ وما معنى أن يصرح الجنرال رئيس بعثة المراقبين الدوليين بأن الوضع بعد سقوط النظام سيكون أسوأ من الواقع الآن؟ وما معنى أن تصرح أمريكا بمناسبة وغير مناسبة أنها لن تتدخل عسكريا؟

إن ما يجري في سورية واضح شديد الوضوح، إنها معركة كبيرة من معارك التاريخ، فلماذا لا يشارك فيها المخلصون والحريصون على الأوطان وعلى البلاد والعباد؟ إن بعض الصحف الغربية في بريطانيا وأمريكا تحدثت عن التقسيم في سورية؛ عن دويلة علوية، وهو حديث الذي لا مانع لديه من مثل هذه الدويلة، لأن موضوع تفتيت المنطقة (مرة ثانية) وارد عند الغرب فقد تحمس لتقسيم السودان رؤساء من أمريكا وممثلون سينمائيون، فهل نحن - لا قدر الله - أمام إسرائيل ثانية في المنطقة؟ قد يقال إن بطولات الشعب السوري ستُفشل أي مخطط للتقسيم أو أي مخطط للعودة إلى الوراء أو للحلول الوسط التي ليست في صالح الشعب والثورة، نعم الشعب أهل لذلك، ولكن أليس من السذاجة السياسية أن تسرع بعض الشخصيات لتتحدث بتفاؤل مفرط عن سقوط النظام بعد أيام، بينما النظام ما زال يدك المدن والأحياء بالأسلحة الثقيلة؟!

وكان من الأحرى أن ينشغل الكل بتقوية الجيش الحر وتقوية المجاهدين في الداخل ليتمكنوا من إسقاط النظام، أين هي الوفود التي تجوب العالم غربا وشرقا لطلب الدعم للقضية السورية، وأين الضغط الإعلامي على بعض الدول لوقف هذه المجازر؟ أليس هذا أفضل من الظهور المتكرر على الشاشات والإدلاء بوصف الواقع؟

إذن هي حرب مكشوفة الهوية ولكن أصحاب الدبلوماسية الناعمة والسياسة الرخوة لا يحبون الحديث الصريح عن هذا الموضوع، والكاتب ميشيل كيلو ينصحنا بأن نبتعد عن هذا الموضوع لأنه يثير الحساسيات (وهي مثارة أصلا)! هو الآخر يريد أن يبعدنا عن حقيقة الصراع، وكثير من الخبثاء من الغربيين والشرقيين يحذرون من عودة الإسلام السياسي! وهؤلاء مكشوف أمرهم، ولكن نقول للذين يحبون الحرية والعدل والحياة الإنسانية من الطوائف الأخرى: إن الإسلام هو خير للجميع المسلمين وغير المسلمين.

صفحة زوجية فارغ

الغثائية

بالرغم من تفاؤلنا بالربيع العربي لأن أساسه التخلص من الديكتاتورية والفساد والظلم، والأمل بأن يكون له دور في إعادة الحياة الكريمة والحياة الهادفة للشعوب التي انتصرت على الطغيان، بالرغم من ذلك فإن حديث الرسول ﷺ في وصفه لحالة من حالات المسلمين بالغثاء رغم كثرتهم، هذا الحديث يبرز الآن عندما نرى ما يقوم به النظام المجرم من قتل للشعب السوري وما تقوم به دولتان باغيتان هما روسيا والصين من دعم لهذا النظام الذي يرتكب المجازر يوميا، ثم نرى العالم الإسلامي بأكمله ومع قوته الاقتصادية وقوته العدديه لا يتحرك ولا يستطيع أن يهدد هاتين الدولتين الباغيتين بالمقاطعة الاقتصادية، وبالتأكيد إن هذا سيؤثر عليهما وخاصة الصين التي يستورد منها شعوب من طنجة إلى جاكرتا.

نقول يهدد أو يقاطع لمدة معينة لأنه سيظهر من يقول لا نستطيع المقاطعة الدائمة.

إن الصين العملاق الاقتصادي ما يزال يحكم بالعقلية الديكتاتورية، وروسيا لم تقم فيها ديمقراطية في يوم من الأيام؛ روسيا القادمة من رحم الاتحاد السوفييتي (سيء

السمعة) صاحب العهد الستاليني والإعدامات الجماعية وتشويه أخلاق الإنسان، ولاشك أن النظام السوري هو الأقرب لهما، هذا عدا عن مناكفة أمريكا والغرب وإثبات أن لها دورا عالميا، وعدا عن صفقات تريدها روسيا وكل هذا على حساب الشعب السوري.

لن نبكي كما بكى أبو المظفر الأموي السفياني على الشام يستنهض الأمم عندما غزاها الروم الصليبيون (الآن يغزوها النظام الأسدي) يقول:

وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى ويغضي على ذل كماة الأعاجم

لن نبكي ونشكر العرب الذين وقفوا معنا، لا ينفع البكاء هنا، ولكننا نطالب بقية العرب والمسلمين مطالبة الأخوة والواجب، ونطالب الشرفاء الأحرار في كل مكان أن يكون لهم موقف مشرف ضد الظلم والقتل، نطالب كماة الأعاجم الأتراك أن يتفهموا القضية السورية على حقيقتها، ونطالب تونس التي بدأت فيها الثورات أن تستمر في موقفها الذي بدأته ولا تسكت كما سكت غيرها، ونطالب مصر كبرى الدول العربية ولا عذر لهم في استغراقهم في مواجهة التحديات الداخلية.

انتزاع النصر..
بطولات لأهل الشام في مقاومة الغزو الصليبي

في كتابه (الاعتبار) يذكر لنا البطل المسلم والشاعر والمؤرخ أسامة بن منقذ الكناني بعضاً من بطولات المسلمين في بلاد الشام وهم يقاومون الغزو الصليبي الذي دخل بلاد الشام عام ٤٩١هـ ، بطولات نادرة، ونحن نرى اليوم ما يماثلها من بطولات الشعب السوري في مقاومة الطغيان والظلم والإجرام الأسدي، ليس غريباً أن يكون الأحفاد مثل الأجداد، فهي أرض مباركة تتولى دائماً الجهاد ضد أعداء الأمة، وحماية لبلاد الإسلام الأخرى، إنها مشاهد رائعة من الثبات والتماسك والتدافع على الفداء، والإيمان بالقدرة على انتزاع النصر بإذن الله وهو الإحساس العميق بالتفوق الحضاري والفكري على هؤلاء المتوحشين الذين يقتلون الأطفال والشيوخ والنساء ويهدمون البيوت ويسرقون الأموال.

يروي أسامة نماذج من هذه البطولات، يقول: «هاجم عسكر الإفرنج يوماً شيزر (وهي القلعة التي تملكها أسرة أسامة وكان عمه أميراً عليها وتقع شمالي

حماة)، وقد خرج من القلعة في ذلك اليوم راجل كثير، فحمل عليهم الإفرنج فما زعزعوهم، فحرد (دنكري) وقال لفرسانه: أنتم فرساني، وكل واحد منكم له ديوان (عطاء) مثل ديوان مئة مسلم، وهؤلاء سرجنت (رجالة، ومشاة) وما تقدرون تقاسموهم في موضعهم، قالوا: إنما خوفنا على الخيل، قال: الخيل لي، من قتل حصانه أخلفته عليه، فحملوا على الناس عدة حملات، فقتل منهم سبعون حصاناً وما قدروا يزحزحونهم عن مواقفهم.. ».

ولم تقتصر الشجاعة على الرجال فقد كان في نساء المسلمين مثل (بريكة) العجوز التي وقفت على النهر تسقي الناس في ذلك اليوم ولا يروعها ذلك الأمر العظيم.

وربما تقدمت المرأة المسلمة لغسل عار الخيانة: «فقد كان أحد المسلمين التحق بجذمة (يتوفيل) الإفرنجي صاحب كفر طاب، وكان يبالغ في أذى المسلمين وأخذ مالهم وسفك دمهم، وامرأته تنكر عليه فعله وتنهاه فلا ينتهي، فأحضرت نسيباً لها - أظنه أخوها - وأخفته في البيت إلى الليل، واجتمعت هي وهو على زوجها وقتلاه، يقول أسامة: وأصبحت عندنا بشيزر، وقالت: غضبت للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر، وكانت عندنا في الكرامة والاحترام»، ويتابع ابن منقذ: «ودهم الإفرنج شيزر في يوم آخر، دلهم جاسوس على مخاضة في نهر العاصي خاضوها وملكوا المدينة ونهبوا وسلبوا وقتلوا وملكوا الدور، وعلّم كل واحد منهم صليبه على دار ركز عليه رايته، ثم طلع على الناس والدي وعمي - وكانا بعيدين عن المدينة- فكبر الناس وصاحوا، فألقى الله سبحانه على الإفرنج الرعب والخذلان، فذهلوا عن الموضع الذي عبروا منه ورموا خيلهم وأنفسهم في غير مخاض، فغرق منهم جماعة كثيرة، ومضى من سلم منهم منهزمين، وهم في جمع كثير، وأبي وعمي معهما عشرة مماليك... »

وبعد انتهاء إحدى المعارك رأى أسامة رجلاً يخفي يده، فلما سأله عن سبب ذلك قال: «تقابضت أنا والإفرنجي وما معي عدة ولا سيف فرميته ولكمت وجهه

عليه اللثام الزرد حتى أسكرته، وأخذت سيفه قتلته به، وتهرأ الجلد على عقد أصابعي، وورمت يدي فما تنفعني، وأظهر لنا يده وهي كما قال قد انكشف عظام أصابعه».

وهذه الشجاعة والبطولة هي في سبيل الله وليست لغايات دنيوية، يقول أسامة عنهم: «ومن الناس من يقاتل كما كان الصحابة رضوان الله عليهم، يقاتلون للجنة لا لرغبة ولا لسمعة، ومن ذلك أن ملك الألمان الإفرنجي لعنه الله، لما وصل الشام اجتمع إليه كل من بالشام من الإفرنج، وقصد دمشق، فخرج عسكر دمشق وأهلها لقتالهم، وفي جملتهم الفقيه (الفندلاوي) والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحولي، وكانا من خيار المسلمين، فلما قاربوهم قال الفقيه لعبد الرحمن: أهؤلاء الروم؟

قال: نعم.

قال: فإلى متى نحن وقوف؟

قال: سر على اسم الله تعالى، فتقدما وقاتلا حتى قتلا رحمهما الله في مكان واحد.

ومثلهما رجل يقال (حسن الزاهد) ودهم الإفرنج المسجد وهو واقف يصلي، والناس من يعبر يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله، الساعة يقتلونه، يقول أسامة: «فلا والله ما قطع صلاته، ولازال عن مكانه! وعاد الإفرنج نزلوا وركبوا خيلهم وانصرفوا، وهو واقف مكانه يصلي!!».

صفحة زوجية فارغة

دعونا نربح جميعا

شيء طبيعي أن تتشكل فصائل وتجمعات في الداخل السوري (وفي خارجه أيضا)، ولكن من الطبيعي ومن الضروري أيضا أن تتقارب هذه الفصائل بالحوار والمشورة لتصل إلى مرحلة التنسيق والتعاون على الخير ثم إلى الوحدة إن أمكن ذلك، فالدين يأمر أهله بأن يتعاونوا على البر والتقوى، ولو اجتمع أهل الحق على حقهم لرأينا الباطل يسفل ويزهق ولرأينا نورا يبهر الأبصار، ولا نريد أن نكون كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

ولأهمية هذا الموضوع جاء في الحديث عن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه»، أي إذا اختلفتم في فهم معانيه فتفرقوا لئلا يتمادى بكم الشر.

لا يكون التفرق إلا عن سببين رئيسيين هما: الجهل وقلة العلم كما قال تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤] ، أو الهوى والتعصب وما ينتج عنهما من قلة الإنصاف، ويقال: عندما تحرك الإنسان أهواؤه فإنه يصبح مريضا عقليا.

ونحن عندما نتحدث عن الوحدة أو الاتحاد أو التعاون وندعو كل الفصائل التي تتصدى للإجرام الأسدي أن تحقق ذلك، فقد يفهم البعض أن المطلوب هو الوحدة الكاملة أو الانصهار الكامل مع الفئة الأكثر عددا، وهذا أمر مؤسف! فلماذا لا يفكر المسلمون بالحلول الوسط وبالحلول التدريجية، مثل تشكيل مجالس مشتركة أو مجالس للحوار والتشاور في الأمور التي تهم الجميع، وكأن البعض لا يفكر إلا على طريقة الشاعر عندما قال: لنا الصدر دون العالمين أو القبر.

لماذا لم يأخذوا درسا من الاتحادات التي بدأت منذ زمن طويل وهي مستمرة حتى الآن لأنها مبنية على دراسة وتأمل وإنصاف، كالاتحاد الذي وقع بين الولايات الأمريكية والمستمر إلى اليوم، هناك نوع من الاستقلال لكل ولاية في أمور معينة وهناك أشياء مشتركة للجميع، والمثال الأقرب هو الاتحاد الأوروبي الذي بدأ بالاقتصاد وانتهى بالسياسة.

في تاريخنا سنلاحظ أن أقاليم انفصلت عن جسم الخلافة العباسية وبقيت شكلا وصورة تحت مسمى الخلافة، ولكنها لم تفكر أنه يمكن أن يكون هناك اتحاد حتى يبقى المسلمون في قوة ومنعة، وقد يقال أن الأصل هو وحدة الخلافة وهذا صحيح ولكن الواقع كان غير ذلك فلماذا لا نصحح الواقع بطريقة معقولة وسليمة.

إن الإسلام يأمر بالتعاون على الخير فكل تعاون من هذا القبيل هو محمود ومطلوب.

سورية... عم نتحدث؟

لن نتحدث عن مأساة هدم المدن وقتل الأبرياء، لأننا لا نحب أن يتحول الأمر إلى نياحة وبكاء، ولكن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل! ولن نتحدث عن المعلقين في الإعلام الذين كلما جاء ذكر السنة قالوا: نحن لا نتكلم من منطق طائفي، وكأنهم يخجلون من ذكر هذه الكلمة، ثم يتبعون حديثهم عن الشرفاء من الطوائف الأخرى حتى لا يغضب أحد.

ولن نتحدث عن لهجة الاعتذار التي يرددها أحد أعضاء المجلس التنفيذي في المجلس الوطني حين يسأل عن قضية إعدام أربعة من الشبيحة في حلب والتي تعتبرها المحطة الفرنسية أو البريطانية مخالفة لحقوق الإنسان، ولا يقول عضو المجلس لهؤلاء: لا تسألون عن إعدام العشرات يوميا من قبل النظام المجرم، ولا تحتجون على طرائق القتل من قبل هؤلاء الشبيحة، وتغضبون لإعدام أربعة منهم! ولن نتحدث عن السكوت المخجل والمريع والفظيع من كل العالم حول ما يجري في سورية، لن نتحدث عن مراوغة أمريكا وكذبها، فمرة تقول وزيرة الخارجية: نحن

نبحث احتمال إقامة منطقة عازلة، ومرة يقول وزير الدفاع: نحن لا نفكر الآن بإقامة منطقة عازلة، أما الدول العربية فنحن لا نسمع صوتا قويا من تونس التي افتتحت الربيع العربي، تونس التي استضافت وفدا من حزب حسن نصر الله بمناسبة انعقاد مؤتمر حزب النهضة، وهذا مما يؤسف له، وحسن نصر الله يناصر النظام المجرم في سورية، بل يشارك في قتل الشعب السوري، وإذا كان هدم الكعبة أهون عند الله من قتل مسلم بريء، فكيف يسكت المسلمون عن قتل العشرات والمئات كل يوم؟

سوف نتحدث عن شيء واحد وهو طلب النصر من عند الله سبحانه وتعالى وليس من عند أحد من البشر، والله ينظر إلى القلوب المتآخية المتحدة، نتحدث عن مستقبل سورية التي هي جزء من بلاد الشام المباركة، ونسأل: هل هذا التمحيص وهذا الابتلاء هو لأمر يريده الله سبحانه وتعالى، لأمر يهيئ له أهل الشام ليكونوا القدوة وليكونوا أقوى شكيمة وأقوى إيمانا وعزما؟

سوف نتحدث عن الحرية التي يرفع شعارها الثوار ويعلمون معناها، ولا شيء يثير عزة النفس في الإنسان مثل شعوره بأنه عنصر فعال في بناء حياة إنسانية رفيعة ترضي الله سبحانه وتعالى.

الشعب السوري المحاصر

لا يدرك خطورة ما يجري في سورية من ثورة على الظلم والاستبداد واستيلاء طائفة معينة على مقاليد الحكم، كما لا يدرك الأبعاد الكبرى لهذه الثورة المباركة إن شاء الله إلا من يعي دروس التاريخ ويعلم ما جرى من مراحل حاسمة، وخاصة في القرنين الخامس والسادس الهجريين حيث تتشكل حقبة جديدة في تاريخ المنطقة العربية والإسلامية بشكل عام.

لا يدرك الأبعاد الحقيقية إلا من يعلم واقع المعركة التي تدار على أرض الشام بعمومها وتفاصيلها، ما يجري كل يوم وكل ساعة، إنها ليست معركة ضد طاغوت واحد، ولا طغيان أسرة واحدة، ولا طغيان حزب واحد، إنها معركة تواجه مشروعا صفويا فارسيا طائفيا تقوده إيران، والنظام السوري، وما يسمى (حزب الله) في لبنان، وإذا لم يكن الأمر كذلك فكيف نفسر هذا الحقد الدفين وهذه البشاعة في القتل وهذه اللاإنسانية في قطع الماء والدواء والغذاء عن الناس كل الناس المعارضين في حمص وحماة ودرعا وريف دمشق وريف حلب؟ لماذا بعد القتل

تشوه الجثث؟ ولماذا تنهب البيوت وتكسر النوافذ ويمنع الكهرباء (ونحن في فصل الشتاء)؟ ولماذا ينهبون البيوت ويخلطون المواد التموينية بعضها ببعض حتى لا يستفيد منها أصحابها؟ هذه التصرفات لم يفعلها أحد قبلهم ولا يفعلها أحد بعدهم، فهذا أمر بعيد حتى عن أخلاق القتال والحروب، وما يراه المشاهد العربي على شاشات القنوات الفضائية ليس إلا شيئا يسيرا مما يحدث على الأرض.

ومن الحقائق في هذه الثورة ظهور بطولات نادرة من الشباب الثائر، وظهور تضحيات ومؤاخاة بين الناس، لا نبالغ إذا قلنا: إنها ذكرتنا بأفعال السلف الصالح في القرون الأولى، ومن بركات هذه الثورة أن انكشف الغطاء عن أعين كثير من الناس الذين كانوا مخدوعين بالدجل الإيراني عن مقاومة أمريكا وإسرائيل، أمام هذه البطولات التي سطرها الشعب السوري في مواجهة المشروع الباطني كان الدعم العربي ضعيفا، وما قصة المراقبين إلا مهزلة ومسرحية مبتذلة، ولكن مع استمرار الإجرام الأسدي وصمود الشعب السوري تغير الموقف وقررت بعض الدول العربية مقاطعة النظام دبلوماسيا وكانت البداية من تونس ثم دول الخليج العربي، وهي خطوة مشكورة ونحتاج بعدها إلى خطوات، وكنا نأمل أن تكون مصر من السباقين إلى ذلك وقد عانت طويلا من الظلم، فكان الأحرى أن تدعم الشعب السوري، وجاءت خطوتها متأخرة ولم تكتمل بعد. لا نستغرب موقف النظام في الجزائر وهو الذي وقف مع القذافي ويقف الآن مع الإجرام الأسدي فالديكتاتوريات إخوة أشقاء، ولكننا نستغرب موقف السودان الضبابي المائع وهو الذي يحكم من قبل ثورة الإنقاذ ومن الجبهة الإسلامية.

إن موقف الغرب من القضية السورية موقف ملتبس، فهو يدعو إلى تنحي رئيس النظام ويقرر بعض العقوبات، ولكنه لم يتخذ الخطوات القوية لإضعاف النظام، فمرة يحتج بموضوع الأقليات والحاجة إلى ضمانات لهم، وهي حجة واهية لأن الأقليات لم تظلم سابقا فلماذا تظلم اليوم؟ ومرة يحتج بعدم توحد المعارضة، وهي حجة واهية أيضا، لأن في كل بلد هناك أكثر من معارضة، إنه في الواقع لا

يريد مساعدة الشعب السوري، وهو قادر على الضغط على النظام أكثر مما هو عليه الآن، ولو أن هذه المجازر التي ترتكب في حق الشعب السوري كانت في منطقة أخرى من العالم لقامت قيامة الغرب وتحدث عن حقوق الإنسان ليلا نهارا، ولاشك أن وجود إسرائيل في المنطقة هو أحد الأسباب لهذا الموقف، ومع ذلك فإن موقفه أفضل من موقف بعض الدول العربية.

أما روسيا فلا يستبعد من دولة يقودها بوتين القادم من مخابرات الاتحاد السوفييتي أن تقف مع نظام يقوم على أجهزة المخابرات التي لا ينتهي عددها، روسيا التي لم تعرف الديمقراطية لقرون سابقة، روسيا الجزء الأكبر من الاتحاد السوفييتي، حيث شرد (ستالين) ملايين المسلمين إلى سيبريا، روسيا تريد أن يكون لها موطئ قدم في هذه المنطقة، وليس لها إلا النظام السوري وتريد أن تثبت للغرب أنها ما تزال دولة كبرى، ولذلك لا أمل في تراجعها عن موقفها إلا بصفقة كبيرة مع الغرب.

إن الشعب السوري مصمم على الاستمرار في جهاده ضد الظلم والاحتلال مهما كانت التكاليف، وكلما أمعن النظام في إجرامه كلما ازداد اليقين عند الناس أنه لا يمكن بعد الآن التعايش أو القبول بهذه العصابة.

إن الشعب السوري مع أنه يرحب ويفرح بأي تأييد معنوي أو مادي من الشعوب العربية أو أحرار العالم، ولكنه يشعر أنه محاصر وهو يعلم أن النصر من عند الله ولذلك كان صوت المظاهرات: (مالنا غيرك يا الله) وكان من الشعارات: (الموت ولا المذلة).

لن ينتصر النظام بإذن الله على شعب مسلم يطالب بحقوقه، ولكنه يريد أن يقتل أكثر عدد ممكن حقدا وسادية وعراقة في الإجرام.

إن دعم الثورة السورية لا يحتمل التأجيل أو التردد، إنها معركة كبرى من معارك التاريخ.

صفحة زوجية فارغة

سورية وإعادة البناء

مهما كان عسيراً أن تنجح ثورة وتقضي على الظلم والفساد الذي طال أمده، فإن الأصعب من ذلك هو إدارة البلاد وسياسة العباد بعد ذلك، إدارة تأخذ بأسباب التآلف وتدفع أسباب التنافر، وتنعش الآمال بعد اليتم الذي عاشته الشعوب فترة من الزمن تحت حكم غاشم جائر، إن ما يجري في سورية وما حدث قبل ذلك في بلدان عربية هو مرحلة تشكل تاريخي في غاية الأهمية، ولذلك فإن الفشل في إدارة الأمور سيؤدي إلى خيبة آمال مريرة، وربما تؤدي إلى عكس النتائج المرجوة، إن الموضوعات المطروحة للحوار والتي ستطرح حول إعادة البناء هي موضوعات لا تحتمل التأجيل، لا بد من التفكير فيها، ومناقشة الحلول والبدائل، ولو أن التنفيذ سيكون بطريق التدرج والاستفادة من الزمن.

أولا : في السياسة

بعد هذا النظام الغاشم الذي بني على أسس من العصابات الأسرية و(المافيا) الاقتصادية والحقد الدفين، هل نرمم هذه الدولة مع أن أساساتها واهية الأركان

ومن جميع النواحي وفي جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، أم يجب أن نفكر في صيغة ملائمة لهوية الشعب وحضارته وثقافته، صيغة تسفيد من الحاضر والماضي من الواقع وما يدور حولنا؟ وهذا لا يتم إلا إذا حاولنا اقتلاع جذور الاستبداد، أي الخلاص من القيصرية لا من القيصر فحسب، جذور الاستبداد تأتي من التربية الناقصة في المنزل وفي المدرسة وفي المجتمع حين لا يسمح بأي مناقشة أو حوار أو اعتراض، ويأتي الاستبداد في عدم تقييد الحاكم بشروط تلزمه في أقواله وتصرفاته ومراقبة أحواله وتحديد المدة التي يحكم فيها.

ويأتي من عدم فهم هذا الدين الذي هو محرر للإنسان من ذل الاسترقاق، ومن علماء السوء وتزيينهم لاستبداد الحاكم، ويأتي من الحاشية الخبيثة التي تؤنس الديكتاتور في وحشته وتشرع في هواه، وتدفئ أكاذيبه، ثم تزين له أنه (ديمقراطي) رصين، والحاشية تتسع كلما بعثرت السلطة أموال الأمة.

الإسلام يأمر أهله بأن يمارسوا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وواجب حماية المستضعفين من الظلم والقهر، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء:٧٥]، وجاء في الحديث عن الرسول ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قال الصحابة: كيف ننصره ظالماً؟ قال: «تردعه عن الظلم»، لابد من إفشاء الحرية بين الناس حتى تكون العلاقة بين الفرد والدولة علاقة تعاون واحترام، وليست علاقة عداوة وانتقام كما هو الحال في الأنظمة الاستبدادية.

شعار الديمقراطية شعار مرفوع عند كثير من المهتمين بالشأن العام، والديمقراطية اختراع بشري لتنظيم وإدارة شؤون الناس، وهي عقلنة للحكم، يحاسب فيها المسؤول الأول، وفيها مقارعة الآراء ومواجهة المعلومات بالمعلومات، وقد تحقق فيها عملياً دولة الرفاة في الغرب في القرن الماضي، وتحقق فيها استقلال القضاء وكثرة الجمعيات الأهلية، وإن التناوب على الحكم يبعث حياة جديدة في ورشة

الدولة، فالحكومة التي تطيل الجلوس إما أن تصبح غير فعالة أو تصبح مختالة، وطول احتكار السلطة يقسي الجلد ويعدم حساسية النقد.

لا شك أنها أفضل من الديكتاتورية خاصة عندما يشتركان في (العلمنة)، ولكن هذه الديمقراطية أيضاً فيها نقائص كثيرة، فهي رخوة كما سماها الفيلسوف اليوناني المعاصر (كاستور يادس) والتي يؤدي التساهل فيها إلى ظهور المطامع الجنونية لأصحاب الأهواء من الفرق والأعراق، ويرى الفيلسوف الإسباني (سنتيانا) أن الديمقراطية تمتاز بنوع من الطغيان الخاص بها وهو عبادة شيء اسمه: المساواة والتشابه التام بين أفراد الشعب، أي أن صوت أجهل الناس مثل صوت أعقل الناس وأعلمهم! ويميل هذا الفيلسوف إلى حكومة تقوم على أصحاب المواهب والشرف من الرجال.

والديمقراطية فيها عيبان كبيران أو مشكلتان كما يقول (جون ستيوارت مل): وهما الجهل والمال، الجهل لأن ليس كل الناس عندهم القدرة على الاختيار الصحيح، والمال له دوره في استمالة البعض، سواء بطريق مباشر (مثل الدول العربية)، أو عن طريق الإعلام القوي الذي يوجه الناس كما يريد، وهذا الفيلسوف من أشد المدافعين عن الحرية، والغرب يعلم عن هذا النقص في الديمقراطية، ولذلك أنشأ مجالس موازية لإيجاد التوازن والعدل مثل مجلس الشيوخ في أمريكا ومجلس اللوردات في بريطانيا، ومجلس الشيوخ في أمريكا هو الرقيب على الرئيس، ويشترك معه في تعيين الوزراء والسفراء وقضاة المحكمة العليا وكبار الموظفين، بل إنه ينفرد عن مجلس النواب (الكونغرس) بأن المعاهدات مع الدول الأجنبية يشترط فيها موافقة مجلس الشيوخ دون مجلس النواب، كان زعيم سنغافورة (لي كوان يو) الذي يلقب بـ (كاهن القيم الآسيوية) يرى أنه لا بد من تطوير صيغة آسيوية للحكم غير الصيغة الغربية، فلماذا لا يكون لنا صيغة خاصة بنا تأخذ بمبدأ الشورى وتستفيد من الطرق التي طورها الغرب لإجراء الانتخابات ومعرفة رأي الناس واختيارهم لمن يمثلهم، والمسلمون يملكون حضارة عريقة وشريعة العدل والأمن من أسسها.

إن أمر الغالبية في المجالس البرلمانية إذا لم تكن مقيدة بالقيم والأخلاق، فقد تنجر إلى مصائب وبلايا، وسيظهر في المجتمع (عباد الشيطان) و(الشواذ جنسياً)، ويقال إن هؤلاء الأقليات لهم حقوقهم أيضاً، وإذا كانت الانتخابات ستأتي في سورية من حيث الواقع، وسيكون هناك برلمان، فلماذا لا نعدل هذا النقص ويكون بجوار البرلمان مجلس آخر يضم علماء الدين والاختصاصين من المثقفين ووجهاء المناطق والقادة العسكريين، ويكون لهذا المجلس اختصاصات واسعة في الأمور الكبرى ودفع ما يناقض هوية الأمة.

أن مرض السهولة هو الذي يجعل بعض الناس يستورد الأفكار كما يستورد السلع للاستهلاك، فالديمقراطية التي استقرت في الغرب لها تاريخ طويل بين تلك الشعوب، ونحن في رفضنا للاستبداد لا يعني أن نستورد شيئاً جاهزاً، وكذلك لا نقبل بالشعار الذي رفع في بدايات النهضة (المستبد العادل) بل نجدد من خلال مبدأ الشورى.

إن طريقة الانتخابات في البلاد العربية سوف تحرم المجتمع والدولة من كثير من المواهب، إما لأن هذه المواهب لا يعرفها كثير من الناس، أو لأن أصحاب هذه المواهب لا يقدمون أنفسهم من خلال المنافسات والحشود الانتخابية التي يتخللها الغوغائية، وإذا كان الأصل أن الناس سواء في اعتبار البشرية وحقوق الحياة، ولا أثر للألوان واللغات والأنساب والأقطار، ولكن هذا لا يمنع تفاوت العقول والمواهب، ومنع مساواة الجاهل والعالم في النظر في مصالح الأمة، وإن المساواة القانونية لا تلغي الفوارق الطبيعية، والقول بحرية الاختيار إنما يعني القدرة على اختيار الأفضل، إن كسب أصوات الناخبين أدى في أمريكا مثلاً ومن بعض النواحي إلى أن المرشحين يراعون أولياء التلاميذ في المدارس لكسب أصواتهم، وهذا مما جعل التلاميذ يمكنون من السيطرة على المدرسة.

كانت في سورية بعد الاستقلال ديمقراطية، وفي مصر أيضاً قبل انقلاب ١٩٥٢م، ولكنها كانت ديمقراطية فاشلة لأنها لم تراع هوية غالبية الشعب وتركيبته البنيوية،

فهذه الشعوب تختلف تركيبتها الثقافية عن الآخرين، فالدين هو محور حياتهم ومنهاجها ، ولا مقارنة مع الغرب حيث ظهرت البرجوازية والطبقة الوسطى التي أسست (الليبرالية) والديمقراطية.

ثانياً: في التعليم

التعليم والعلم هو الأساس في عملية التغيير، والمناهج الموجودة في المدارس الابتدائية أو الثانوية لا تخرج الشخصية الفعالة العملية، وبعض هذه المناهج هي حشو للأذهان يذهب بطاقات الشباب، وتمر السنون وهو لا يتقن علماً، وعندما كتب المفكر الفرنسي (غوستاف لوبون) عن سبب نجاح الإنكليز (السكسون) مقارنة مع الفرنسيين، اعتبر أن التعليم في بريطانيا أفضل من فرنسا لأنه يشجع على بناء الشخصية المستقلة التي تعتمد على ذاتها بعكس الفرنسيين الذين يعتمدون على الدولة.

وبعد المناهج يأتي المدرس فلا بد من تأهيله وإعطائه الأهمية المناسبة بسبب دوره الخطير في بناء الأمة.

إن كثرة المدارس الخاصة وإقبال الناس عليها بسبب ضعف المدارس الحكومية هي ظاهرة غير صحية، والأصل أن ترفع المدارس الحكومية حتى تزول الفوارق ويتمكن عموم الشعب من إدخال أولادهم المدارس العامة.

يجب أن ننتهي من عقدة التعليم الجامعي حيث إن الكل يريد دخول الجامعة رغبة في تسلم (الشهادة) وليس حباً في العلم، ويتكدس الخريجون دون عمل، حيث لا يوجد تخطيط لحاجتنا للشهادات الجامعية وحاجتنا إلى أنواع من التخصصات.

هناك تخصصات في المرحلة الثانوية يمكن أن تكون مفيدة للمجتمع دون الوصول إلى الجامعات.

ثالثاً: في الاقتصاد

إن بناء اقتصاد راسخ وقوي يبدأ من حفظ ثروة الأمة؛ فهذا الذي يساعد على النهوض وإقامة المشاريع التنموية والعلمية، وتطوير المدارس والجامعات، وتأمين الخدمات الصحية وغير ذلك من الأمور الهامة وقد وصف الله سبحانه وتعالى المال بأنه قيام للناس، ونهى الرسول ﷺ عن إضاعة المال، بينما نجد أن المال قد نهب واستخدم في غير محله في الدول الاستبدادية، وتحولت الشعوب إلى شعوب استهلاكية وهناك طبقة من الشعب تنفق المال على التوافه من الأشياء، وتكدست الثروة عند حفنة قليلة من الناس، وإن تركيز الثروة بأيد قليلة أو طبقة معينة يجعلها قادرة على تسخير الدولة لمصالحها، ثروات تكدست من مصادر غريبة: رشوة، عمولات، تجارة السلاح.

إن في سورية والبلاد العربية ثروات طائلة لم يستفد منها، وهناك ثروة بشرية متعلمة هي أهم هذه الثروات، ونسبة الشباب في البلاد العربية أعلى نسبة في العالم.

إن خبراء الاقتصاد يقولون: لا بد من البدء بالزراعة ثم الصناعة، أي لا بد من الأمن الغذائي أولاً، حتى لا تكون الدولة عالة في غذاء الشعب على الآخرين. هذا هو الطريق الصحيح، ولا يكون الاعتماد على السياحة المحرمة وما تعنيه من فساد أخلاقي، كما أن وجود البترول يجب ألا يخدعنا فهو أشبه بوارث يبيع قطعاً من الأرض التي ورثها لينفق على نفسه، الإنتاج الحقيقي هو الزراعي والصناعي.

ومن الأشياء الواضحة التي يعلمها كل خبير منصف، إن ما طرح في السنوات الأخيرة عن اقتصاد (السوق) وأنه هو الحل لكل المشاكل الاقتصادية قد فشل، وكان من ورائه الكوارث التي حلت ببعض دول أوروبا، وعاد الحديث عن ضرورة تدخل الدولة وخاصة في الخدمات العامة التي تهم كل الناس، في الصناعات الاستراتيجية التي لا تكون للأفراد، فالرأسمالية تعتمد على أناس يجهدون أنفسهم ليجعلوا أناسا آخرين أثرياء.

وقبل هذا فشل النظام الاشتراكي الشيوعي فشلاً ذريعاً وكان أحد أسباب سقوط الاتحاد السوفييتي.

بعد كل هذه التجارب في العالم ألا يحق لنا أن نقول: إن استلهام القواعد العامة للاقتصاد من القرآن الكريم وقواعد الشريعة واجتهاد الفقهاء في القديم والحديث هو الطريق الصحيح لاقتصاد نافع لكل إنسان، قد يقال: هذا كلام عام وأين التفاصيل والبرامج ... إن التفاصيل تأتي عندما يكون هناك جدية في القبول والتنفيذ، وفقهاء الشريعة وخبراء الاقتصاد موجودون.

حاولت بعض دول أوروبا الغربية أن تخفف من آثار الرأسمالية البشعة أو ربما خوفاً من مجيء الاشتراكية، فسنت قوانين الضمان الاجتماعي التي شملت أكثر الناس، وهذا عمل إنساني صحيح، والمسلمون أولى أن يرجعوا إلى تطبيق هذا الأمر، خاصة وأن دينهم يأمرهم بأن لا يكون في المجتمع من لا يجد كساء أو غذاء أو مسكناً يؤويه.

إنه من غير المقبول أن نرى من يعيش في مدن الصفيح، ومن لا يطمئن إلى غده، هل ستتوفر الضرورات الأساسية لحياة الإنسان؟

إن العلاقة بين الاقتصاد والسياسة علاقة قوية وحفظ الثروة مما يساعد قوة الدولة وقوة الأمة واستقلالها.

رابعاً: في الثقافة والتعددية الثقافية

هل هناك فرق بين مصطلح (التعددية الثقافية والعرقية) وبين مصطلح (التنوع الثقافي والعرقي)؟ وأظن أن هناك فرقاً، فالتنوع الثقافي والعرقي شيء طبيعي، وهو موجود في أكثر بلدان العالم، والناس يتعايشون مع بعضهم في دولة واحدة ووطن واحد، أما مصطلح التعددية الثقافية فربما يطالب أصحابه بنوع من الانفصال أو نوع من الاعتراف الداخلي الذي يؤدي مع الزمن إلى الانفصال، وهو شيء ليس

في صالح الأوطان ولا في صالح الذي يطالبون به، ومن الطريف أنه جرى في عام ١٩٩٨م استفتاء في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية على إلغاء برامج التعليم ثنائي اللغة في المدارس العامة، كانت النتيجة أن نسبة المؤيدين للإلغاء كانت٦١٪.

هناك مواطنون من أديان مختلفة ومن أعراق مختلفة يعيشون مع الأكثرية من مئات السنين، ولا داعي لهذا المصطلح (أقليات)، والغرب يؤكد على الأقليات وينبشها في كل وقت حتى لا تستقر هذا المجتمعات، فالجزء يجب ألا يطغى على الكل، والأجزاء يمكن أن تكون (أفقية)، ولكن تصبح مشكلة عندما تتحول إلى (عمودية) منازعة للكل الذي هو (الأمة) وبحجة (التعددية الثقافية) يعتبر الجزء نفسه (ثقافة) وأداة للسيطرة على الآخر.

وأما موضوع (الأصالة والمعاصرة) فهذا لا يتم بخلطة سريعة ولا هو عملية (كيمائية)، والصحيح هو استعادة المعاصرة من الإسلام نفسه.

أي العودة إلى نصوص الإسلام المؤسس (القرآن والسنة) حيث يكتشف من خلالها الاتساع والإحاطة بكل عصر وكل مكان، ودين الأكثرية هو الناظم للجميع حتى لا ينفرط العقد، لأن الأكثرية لا تكون أكثرية دون أن تكون عندها القدرة على جمع الكل واحتواء الجميع من خلال القيم ومن خلال التواضع والأخلاق العالية.

خامساً: الهوية

هل نتغاضى عن موضوع الهوية؟ وهل نترك هذا الجانب دون تحديد، وهو موضوع ذو أهمية بالغة؟ لأنه بسبب عدم التحديد كان هذا الصراع الطويل الذي أنهك الأمة وبعثر الجهود، كان الصراع بين من يريد التغريب والعلمانية وبين من يريد المحافظة على هوية الأمة وعقيدتها وحضارتها.

هل تعيش أمة دون هوية أو دون تحديد المسار والغاية؟ أم هل نظن أن الدول المشهورة اليوم أو الأمم المتقدمة تعيش دون هوية؟ ربما لا تظهر علناً في الكتابات أو الإعلام، ولكنها معروفة ضمناً كما في غرب أوروبا وأمريكا، ألم يقل رئيس فرنسا السابق (جيسكار ديستان): إن أوروبا (مسيحية)، رداً على من يريد إدخال تركيا في الاتحاد الأوربي، هل نتهم بالتعصب إذا قلنا أن هوية الأمة هي الإسلام، وقد عاشت كل الأعراق في ظل الحضارة الإسلامية وتعلمت اللغة العربية، لأنها لغة القرآن الكريم وهي لغة شريفة وواسعة وثرّة؟

كانت الهوية واضحة عند علماء الجزائر كالشيخ عبد الحميد بن باديس عندما أعلنها صريحة أن الجزائر عربية إسلامية، مع أن الشيخ من أعرق الأسر الأمازيغية في الشمال الإفريقي.

لقد فشلت كل المشاريع الليبرالية والعلمانية في إنجاز أي مهمة كبيرة لأنها كانت تستبطن (أو تظهر) العداوة للإسلام، بينما نجد أن فيلسوفاً وسياسياً بريطانياً (جون لوك) في القرن السابع عشر الميلادي يكتب: «ينبغي على الحاكم أن لا يتساهل مع الملحدين لأنه لا أمان لمن لا يؤمن بالله»[(١)]، أما غير المسلمين الذين عاشوا طوال القرون الماضية في ظل الحضارة الإسلامية، هؤلاء مسلمون حضارة كما قال أحد عقلائهم من مصر (مكرم عبيد): «أنا مسلم وطناً ونصراني ديناً!»، والرد على (القومية العربية) العنصرية المتعالية لا يكون بإنشاء قوميات أخرى بل بالرجوع إلى الأصل، وهو الجامع الأكبر بين شعوب المنطقة وهو الإسلام، يقول الشيخ ابن عاشور: «فالجامعة الدينية لما كانت راجعة إلى الجانب العقلي المحض، وهو الجانب الذي به كان الإنسان إنساناً، كانت هي أولى الجوامع بالاعتبار»[(٢)].

والأسماء اللامعة في التاريخ الإسلامي مثل طارق بن زياد، ونور الدين،

---

(١) رسالة في التسامح ص٥٨.

(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص١٠٧.

وصلاح الدين، والظاهر بيبرس وأمثالهم إنما برزوا بالإسلام وباحتضان الشعوب العربية الإسلامية لهم، ولم يتميزوا عن جمهور الأمة بلغة أو ثقافة، فالانتماء هو انتماء عقدي حضاري يجب أن يتحول إلى أمة تعرف غاياتها ولا ينقض كل واحد ما بناه الآخر، من الذي قام في وجه الظلم والاستبداد عام ١٩٦٤م في حماة؟ ومن الذي قام في وجه الظلم والقهر والفساد عام ١٩٨٠م، لقد سطر الشباب المسلم أعظم البطولات، واليوم تخرج المظاهرات من المساجد تنادي بالحرية لأبناء الشعب السوري كافة.

المحتويات

يسألونك عن الطغيان ٥
الأشجار تموت واقفة ٩
حتى لا نضمحل ١٣
ما بعد الثورات العربية ١٧
حول السياسة والمبادئ ٢٥
الربيع العربي والفرص المتاحة ٣١
يوميات الثورات العربية "رياح التغيير" ٣٧
المؤتمر القومي- الإسلامي ٣٩
دروس الثورة في ميدان التحرير (١) ٤٣
دروس ميدان التحرير (٢) ٤٥
متابعات سياسية (١) ٤٩
متابعات سياسية (٢) ٥١
هذه المنظمات المهترئة ٥١
متابعات سياسية (٣) ٥٣
الليبراليون الجدد ٥٧
إعادة صياغة الفكر القومي ٥٩
سرقة الثورات ٦١
هل هما مشروعان متضادان؟ ٦٥
إيران واللعبة الجهنمية ٦٩

وما النصر إلا من عند الله ---- ٧٣
عندما تغور الأخلاق ---- ٧٥
أوهام مرعبة ---- ٧٧
هل نحن طائفيون؟ ---- ٧٩
لماذا يتعاطف الروس مع النظام السوري ---- ٨١
منارات تهدي ---- ٨٣
نظرية المؤامرة ---- ٨٥
الأحلام الكبيرة ---- ٨٧
التسول في السياسة ---- ٨٩
أحداث سورية المسماة بغير اسمها ---- ٩١
الغثائية ---- ٩٥
انتزاع النصر.. ---- ٩٧
بطولات لأهل الشام في مقاومة الغزو الصليبي ---- ٩٧
دعونا نربح جميعا ---- ١٠١
سورية.... عمّ نتحدث ---- ١٠٣
الشعب السوري المحاصر ---- ١٠٥
سورية وإعادة البناء ---- ١٠٩
أولا: في السياسة ---- ١٠٩
ثانياً: في التعليم ---- ١١٣
ثالثاً: في الاقتصاد ---- ١١٤
رابعاً: في الثقافة والتعددية الثقافية ---- ١١٥
خامساً: الهوية ---- ١١٦